تحقيق تفسير الأدفوي

لسورة "ق"

د. شافي سلطان محمد العجمي

عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة جامعة الكويت

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. وبعد :

فإن العناية بتفسير أهل العلم من فروض الكفايات التي يقوم بها القادرون على ذلك لأن تفاسير أهل العلم كثيرة جدا ، وقد طبع منها الكثير وبقي الكثير مخطوطا ، ولا زالت هذه التفاسير المخطوطة حبيسة المكتبات في دول الشرق والغرب .

ومن هذه المخطوطات الجليلة التي أدهشتني تفسير الأدفوي ، وهو العالم اللغوي المفسر الذي استوعب في تفسيره أكثر تفسير الطبري مع حذف الأسانيد ، وقد وجدت مخطوطة تفسيره في تركيا في مكتبة السليمانية، فصورتها كلها .

ويمتاز تفسير الأدفوي بعدة مميزات :

أولها : قرب عهده بالمفسرين الأوائل كالطبري والنحاس ونقله عنهما .

ثانيها :عنايته بإعراب القرآن كاملا ، وهذا لانظير له في تفاسير المتقدمين .

ثالثها : ترجيحه بين الأقوال ومناقشته لها .

رابعها : حسن الترتيب والتبويب ، وهذا مطرد في جميع الكتاب ، فيبدأ الأدفوي بالإعراب ثم القراءات ثم المعنى والتفسير ثم الوقف والتمام .

خامسها : جمعه بين محاسن التفاسير الأخرى ، فقد جمع الأدفوي في كتابه بين الأثر، والعربية من نحو وصرف وبلاغة ، والقراءات ، والمناقشة .

سادسا : أن الأدفوي هو المقريء الوحيد الذي وصل إلينا تفسيره وقد انفرد بالإمامة في دهره في قراءة نافع رواية ورش كما يقوله الداني .

سابعا : تلخيصه لأقوال المفسرين وتقسيمها إلى ثلاثة أقوال أو أربعة ثم يذكر دليل كل قول ومن قال به وهذا من أحسن التنسيق لأقوال المفسرين .

الدراسة:

ترجمة الأدفوي [١]:

نسبه : هو محمد بن علي بن أحمد الإمام أبو بكر الأُدفُوي [٢] المصري المقرئ النحوي المفسر ، ولد سنة خمس وثلاثمائة ومات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، سكن مصر وكان خشابا يتجر ، قرأ القرآن على أبي غانم المظفر بن أحمد ولزم أبا جعفر النحاس وحمل عنه كتبه وبرع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصر.

قال أبو عمرو الداني : انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته في قراءة نافع مع سعة علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وتمكنه من علم العربية وبصره بالمعاني.

أخذ عنه العلم والقراءة كثير من أهل العلم مثل مكي بن أبي طالب القيسي وأبو عمر الطلمنكي ومحمد بن الحسين بن النعمان وعبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وغيرهم كثير.

ألف كتبا في التفسير والقراءات والنحو وفي ذلك يقول الكمال الأدفوي :

وله تصانيف في التفسير والقراءة واللغة والنحو وغير ذلك وقد وقفت أنا على كتابه المسمى بالاستغناء في التفسير في مجلدات كثيرة، رأيت منه عشرين مجلداً ، ويقال إنه في مائة أو ما يقاربها ووقفت له أيضاً على مجلدة كبيرة في النحو [٣].

تفسير الاستغناء:

ألف المؤلف تفسيره الكبير المسمى الاستغناء في اثنى عشر عاماً ويقول في مقدمته : هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من علوم القرآن من بين كلام غريب ومعنى

---

(١) انظر في ترجمته: بغية الوعاة للسيوطي (٢/٥٤) ، وطبقات القراء لابن الجزري (٢/١٩٨) ، وطبقات المفسرين للسيوطي ، ص ٢٥٠ ومعرفة القراء الكبار للذهبي ص ١٩٩.

(٢) وجدت ابن الجزري في طبقات القراء يقول : (الأذفوي) بالذال المعجمة أما بقية المترجمين فيقولون بالدال المهملة.

(٣) الطالع السعيد للأدفوي، ص ٥٥٤.

مستغلق وإعراب مشاكل وتفسير مروي وقراءة مأثورة وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وأذكر فيه إن شاء الله ما بلغني من اختلاف الناس في القراءات ، وعدد الآي ، والوقف والتمام ، وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها – إن علمت ذلك – وما فيه من حذف لاختصار أو إطالة لإفهام ، وما فيه من تقديم وتأخير. وإذا مر العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في باب أفرده له ، وأذكر أين نزلت السورة بمكة أم بالمدينة ، على قدر الطاقة ومبلغ الرواية ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً ، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنياً ، وبالله التوفيق والحول والقوة.

ويمكننا أن نقول أن الأدفوي استفاد من تفسير الطبري وانتفع بآثاره ، فكان يذكر كل الآثار محذوفة الأسانيد ويزيد أحياناً عليها ثم يذكر رأي الطبري في هذه الأقوال وأحياناً يذكر اسمه وأحياناً يذكر ترجيحه.

وأما المباحث الأخرى كالأحاديث والقراءات واللغة والوقف والابتداء فقد أخذها المؤلف من مصادرها الأصلية.

ويمكننا الحديث عن منهج المؤلف في تفسيره على النحو الآتي : (١):

أولا : مصادره في التفسير :

١- يعتمد الأدفوي في الآثار والترجيح بين الأقوال على تفسير الطبري المسمى

" جامع البيان عن تأويل آي القرآن "، وهويذكر أقوال الصحابة والتابعين دون أن يذكر مصدرها ولكنها موجودة بنصها وترتيبها في تفسير الطبري ، وأما

---

(١) مثل رسالة الماجستير : (الأدفوي مفسراً) للطالب عبد الله بن عبد الغني كحيلان. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

المناقشة للأقوال والترجيح بينها فالمؤلف يحيل الترجيح إلى الطبري غالبا ، وأحيانا يرد عليه.

٢- يعتمد الأدفوي في الناسخ والمنسوخ والإعراب والوقف والتمام على كتب النحاس والزجاج والفراء والأخفش وأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي العباس ثعلب، ويحيل عليها في الغالب، وأحيانا يذكرهم ويتعقبهم.

٣- يعتمد الأدفوي في القراءات على كتب أبي بكر بن مجاهد كالقراءات واختلاف القراء.

٤- يعتمد الأدفوي في النحو على كتب سيبويه والمبرد .

٥- يعتمد في غريب القرآن على كتاب ابن قتيبة " غريب القرآن ".

ثانيا : أصوله في التفسير:

١- عناية الأدفوي بالأثر :وقد كانت طريقته في ذلك تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين ولاسيما في أسباب النزول ومعاني الآيات .

٢- اعتداده بالعربية : وقد تمثلت عناية الأدفوي بذلك في ذكره للإعراب والنحو والتصريف والإشتقاق ومعاني الكلمات وتفسير الغريب وبعض فنون البلاغة كالتقديم والتأخير والحذف والزيادة .

٣- اهتمامه بالقراءات :وقد كان يولي القراءات السبع عناية خاصة فلا يكاد يفوت شيئا منها ، ويشير أحيانا إلى القراءات الشاذة ، ويعتني الشيخ بتوجيه القراءات ويبين معاني القراءات .

٤- مراعاته للنظر والترجيح بين الأقوال :ومن ذلك عنايته بتعليل الأقوال وبيان وجوهها ويحرص الشيخ على بيان المشكل من الآيات ويبين في مواضع بعض الفوائد المستنبطة من الآيات .

أما منهج المؤلف في تفسير سورة "ق" فهو على النحو الآتي :

- قسم المؤلف السورة إلى مقاطع ، وصار يرتب الحديث عن كل مقطع بما يلي:

أ-**الإعراب**:وقد أعرب المؤلف كل مقطع بما فيه من كلمات وأفعال وحروف، ويمتاز إعرابه بأشياء:

١- تتبعه لجميع ما يحتمله اللفظ من معنى .

٢- احصائه لأقوال المعربين كالفراء والأخفش والنحاس والزجاج والمبرد .

٣- مناقشته لأقوال المعربين وترجيحه لأحد الأقوال كما في " حب الحصيد".

ب- **أقوال المفسرين** : وهو يتتبع أقوال الصحابة والتابعين الواردة في التفسير، ويمتاز بأمور:

١- اعتماد المؤلف اعتمادا كليا على تفسير الطبري في نقل الأقوال ، والمؤلف يشير إلى ذلك أحيانا وغالبا لا يفعل .

٢- حسن الترتيب للأقوال وبراعة التقسيم ، والمؤلف يذكر أن في الآية ثلاثة أقوال أو أكثر ويبين الأقوال ثم يذكر أصحاب هذه الأقوال.

٣- توجيه الأقوال وبيان مقصود أصحابها.

٤- المناقشة بين الأقوال والترجيح بينها ويميل المؤلف إلى ترجيحات الطبري غالبا كما في حذف جواب قسم "والقرآن المجيد".

٥- يتعقب المؤلف قول غيره أحياناً ويبين وجه ذلك مثل تعقبه لأبي عبيد القاسم بن سلام في "أدبار السجود".

٦- التفريق بين اختلاف التنوع والتضاد فالأول مثل اختلافهم في "أمر مريج"والثاني مثل " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد".

٧- لم يتعقب المؤلف الإسرائيليات الواردة عن الصحابة والتابعين كما في قصة " تبع".

٨- يدع المؤلف أحيانا الترجيح بين الأقوال كما في " وجاءت سكرة الموت بالحق "

ج- **القراءات** :ويحرص المؤلف على استيعاب القراءات الواردة في الآية ولو كانت شاذة ويمتاز بأمور:

١- ذكر من روى القراءة عن الشيخ وبيان اختلاف الرواة.

٢- توجيه القراءات كما في "فحق وعيد".

٣- الربط بين القراءات والوقف والابتداء كما في" يوم ينادي".

د- **الوقف والابتداء** : وقد اعتمد المؤلف على كتاب النحاس في الوقف والابتداء ، وقد امتاز بأمور

١- بيان الاختلاف في الوقف والابتداء.

٢- الربط بين الوقف والمعنى .

٣- المناقشة لبعض الأقوال مثل الوقف على "مكان قريب".

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سورة ق وهي مكية.

قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)﴾.

الإعراب

(قاف) [١] غير معربة؛ لأنها حرف هجٍّ (والقرآن) خفض بواو القسم (المجيد) من نعت القرآن، (بل عجبوا) بل حرف عطف ويكون للإضراب (عجبوا) فعل والواو ضمير الفاعلين (أن جاءهم) أن في موضع نصب (جاءهم) فعل ماض والهاء والميم ضمير مفعول (منذر) رفع بفعله (منهم) خفض بمن، (فقال) الفاء حرف عطف و(قال) فعل ماض (الكافرون) رفع بفعلهم،

(هذا شيء) ابتداء وخبر (عجيب) من نعت شيء.

اختلاف المفسرين

واختلف أهل العلم في معنى قاف[٢]؛ فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (ق)، و(نون) وأشباه هذا؛ أنه قسم أقسم به الله جل ثناؤه أو هو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن، روى ذلك معمر عن قتادة (قاف) قال: اسم من أسماء القرآن، وعنه أنه اسم من أسماء السور[٣].

---

(١) انظر في الإعراب : التبيان للعكبري (١١٧٣/٢) ، وإعراب القرآن للزجاج (٤١/٥) . والبحر المحيط لأبي حيان (٥٢٨/٩) وإعراب القرآن للدرويش (٢٨١/٩).

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٤٦/٣٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٨) ، والدر المنثور للسيوطي للسيوطي (٥٨٩/٧).

(٣) الهداية لأبي طالب المكي (٧٠٢٤/١١).

وقال آخرون: معنى ذلك قضي الأمر والله، هذا قول الفراء[١]، كما قال:

قلت لها قفي فقالت قاف

أي قد وقفت، فذكرت القاف وأرادت بالقاف من الوقف[٢].

وقال آخرون: هو جبل محيط بالأرض، روي ذلك عن مجاهد قال: قاف جبل محيط بالأرض[٣] وقيل: إنه من زمردة خضراء، وإن خضرة السماء والبحر منه (قال أبو بكر): وإذا كان اسماً للجبل فالوجه فيه الإعراب، وأبو العباس محمد بن يزيد يذهب إلى أنه تنبيه.

وقوله: (والقرآن المجيد)، روى معمر عن قتادة وسعيد بن جبير: والمجيد الكريم، وقيل: الرفيع القدر.

وفي جواب القسم أربعة أجوبة، قال الأخفش سعيد: الجواب.. قد علمنا ما تنقص الأرض منهم، وهو قول الكسائي[٤]. وقال أبو إسحاق:[٥] الجواب محذوف، أي والقرآنِ المجيدِ لتبعثُنَّ[٦].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/٧٥) ولسان العرب لابن منظور: مادة (وقف) (٣ / ٥٦٩).

(٢) والذي يظهر لي أن هذه الأقوال فيها نظر: فالقول الأول فيه أن القسم لابد فيه من حرف القسم والمقسم به والمقسم عليه، والقول الثاني أنه اسم من أسماء الله فيه أن أسماء الله توقيفية وليست اجتهادية وليس من عادة القرآن أن تذكر أسماء الله في مقدمة الآيات بل في خواتيمها والقول الثالث فيه أن الحذف خلاف الأصل والظاهر ولا يحال إليه إلا عند الحاجة والقول الرابع فيه أن الأخبار الغيبية لا تنال بالاجتهاد بل بالنص وغايته أنه من الإسرائيليات والذي تحصل عندي أن " ق " من الحروف المقطعة التي تبتدأ بها الآيات مثل "ص"و"ن"لأن الله يذكر بعد الحروف المقطعة غالبا الثناء على القرآن،

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٧/٥٨٩) وجامع البيان للطبري (٢٦ / ١٤٧).

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/٢١٩)، وإملاء ما من به الرحمن (٢/١٢٦).

(٥) قال الزجاج في معاني القرآن (٥/٤١) جواب القسم هو: والقرآن العظيم إنكم لمبعوثون.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥/٤١).

(وقيل): المحذوف ما دل عليه سياق الكلام؛ لأنهم قالوا: هذا شيء عجيب، تعجَّبُوا من أن بُعِث إليهم رجل من بني آدم، فوقع الوعيد على ذلك، فالتقدير: والقرآن المجيدِ لتعلمُنَّ عاقبة تكذيبكم يوم القيامة، فقالوا: أئذا متنا. ومَن قال: معنى (قاف) قُضي الأمر والله، فليس يحتاج إلى جواب؛ لأن القسم متوسط كما يقول: قد كلمتك والله اليوم، (والجواب الرابع) أن تكون قاف اسماً للجبل المحيط بالأرض، قال ذلك ابن زيد ووهب بن منبه فيكون التقدير: هو قاف والقرآن، فقاف على هذا في موضع رفع.

(وأصح الأجوبة): أن يكون الجواب محذوفاً للدلالة؛ لأن أئذا متنا جواب، فلابد من أن يكون إذا متعلقة بفعل أي: أَنُبْعَثُ إذا متنا؟ فأما أنْ يكونَ الجواب قد علمنا فخطأ؛ لأن (قد) ليست من جواب الأقسام، هذا قول أبي جعفر[١].

وجواب القسم أربعة: اللام وإن ولا وما، ولم يجعل للذي قال قد علمنا جواباً، إنما قدَّر الكلام: لقد علمنا، باللام ثم حذفها لطول الكلام، واللام من جواب الأقسام.

وفي الجواب (قول خامس) وهو: إن في ذلك لذكرى.

وقوله: (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) لقول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لم يكذبك مشركو قومك لأنهم لا يعرفونك إلا بالصدق، بل عجبوا أن جاءهم بشر منهم- أي بني آدم- برسالة رب العالمين، ولم يأتهم مَلَك، ومعنى (منذر) أي ينذرهم عقاب الله، (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي، قال الكافرون بالله

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٤٧) ومما يقوى حذف أو إضمار الجواب أن السورة أغنت عن ذكره وإذا دلت السورة على المحذوف من جواب القسم فلا حاجة إلى ذكره، وهذا قد ورد في القرآن في ست سور وهي (ص) و(ق) و(القيامة) و(النازعات) و(البروج) و(الفجر). انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص (١٠، ١٨، ٥٦، ٩٢، ٢٧٠) والقسم في اللغة وفي القرآن لمحمد المختار السلامي ص ١٣٥.

ورسوله والمكذبون بهما من قريش أن جاءهم منذر منهم: هذا شيء عجيب، أي مجيء الرجل منا من بني آدم برسالة الله إلينا شيء عجيب.

الوقف والابتداء

ووقف القارئ [١] على قول قتادة يكفي الوقوف على قاف، والتقدير: اتلُ قاف، وكذا على قول من قال: إنه جبل محيط بالدنيا، وهو قول مجاهد، ويكون التقدير: اذكر قاف، ومن جعل هو تنبيه فالوقف عنده على ما بعده وعلى قول الفراء قاف قضى؛ الوقف على قاف والقرآن المجيد إن في ذلك لذكرى، وعلى قول الكسائي والأخفش: وعندنا كتاب حفيظ، والتمام فهم في أمر مريج.

وقوله جل ثناؤه ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)﴾.

الإعراب

(إذا) [٢] ظرف دخلت عليه حرف ألف الاستفهام، والعامل فيه محذوف والتقدير : أنبعث إذا متنا وكنا ترابا، (ذلك رجع بعيد) ابتداء وخبر (بعيد) من نعت رجع.

يقول القائل: لم يجر للبعث ذكر فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دُعوا إليه من ذلك، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يُدْعَوا إليه وجوابهم عما لم يُسألوا عنه؟

قيل: قد اختلف النحويون في ذلك؛ فقال بعض البصريين: إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد، لم يذكر أنه راجع، وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: أئذا كنا ترابا؟! ذلك رجع بعيد.

---

(١) انظر : القطع والأستئناف للنحاس ص ٤٩٣.

(٢) انظر في الإعراب : التبيان للعكبري (١١٧٣/٢) ، وإعراب القرآن للزجاج (٤١/٥) والبحر المحيط لأبي حيان

(وقال بعض الكوفيين) : قوله: (أئذا متنا وكنا ترابا) كلام لم يظهر قبله ما يكون هذا جواباً له، ولكن معناه مضمرًا، إنما كان معناه والله أعلم: قاف والقرآن المجيد لتُبعثُنَّ بعد الموت، فقالوا: أئذا كنا ترابًا بعثنا؟ جحدوا البعث ثم قالوا: ذلك رجع بعيد، جحدوه أصلًا، ومعنى (ذلك رجع بعيد)عن الفراء [١]: لا يكون، كما تقول للرجل يخطئ في المسألة: لقد ذهبت مذهبًا بعيدًا عن الصواب التي أخطأت.

وكان محمد بن جرير الطبري [٢] يقول: الصواب من القول في ذلك عندنا: أن في الكلام متروكًا استغني بدلالة ما ذكر عليه من ذكره، وذلك أن الله جل ثناؤه دلَّ على تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بقوله: (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) على وعيده إياهم على تكذيبهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، فكأنه قال لهم: إذ قالوا منكرين رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم إليهم: (هذا شيء عجيب) ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بُعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم في تكذيبكم محمدًا صلى الله عليه وسلم وإنكاركم نبوته، فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أئذا متنا وكنا تراباً) نعلم ذلك ونرى ما تعدنا، (ذلك رجع بعيد) أي: إن ذلك غير كائن ولسنا راجعين أحياءً بعد مماتنا، فاستغني بدلالة قوله: (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) من ذكر ما ذكرت من الخبر عن وعيدهم.واحتج بخبر رواه الضحاك (أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) قالوا: كيف يحيينا الله وقد صرنا عظامًا ورفاتًا وضللنا في الأرض، قال: وهذا دلالة عل ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذ تُوعِّدُوا به. [٣]

---

(١) معاني القرآن (٣ /٧٦)

(٢) جامع البيان للطبري (١٤٨/٢٦).

(٣) جامع البيان للطبري (١٦ / ١٤٨).

الإعراب

(قد علمنا) [1] فعل وضمير فاعل وهو النون والألف، (ما تنقص الأرض منهم) (ما) في موضع نصب، و(تنقص) فعل مستقبل في صلة ما، (الأرض) فاعل تنقص، (منهم) الهاء والميم ضمير مخفوض، (وعندنا) ظرف، (كتاب) رفع بالابتداء، والخبر في الظرف، (حفيظ) من نعت كتاب.

المعنى الإجمالي

(والمعنى والله أعلم) : قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد وفاتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض من أجسادهم، ولهم كتاب مكنون مع علمنا بذلك حافظ لذلك كله، وسماه الله جل ثناؤه حفيظًا؛ لأنه لا يندرس ما يكتب فيه ولا يتغير ولا يبدل.

أقوال المفسرين

ومعنى ما قلناه مأخوذ من قول العلماء [2] روى علي عن ابن عباس قوله(قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) يقول : ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم .وقال مجاهد: ما تنقص الأرض منهم قال من عظامهم. وقال سعيد عن قتادة:" ما تنقص الأرض منهم": ما تأكل الأرض منهم. وروى عنه معمر:" ما تنقص الأرض منهم "يعني الموت يقول من يموت منهم أو قال ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا. وقال الضحاك: ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به وهو عندي مع علمي فيهم في كتاب الله حفيظ.

وقوله جل ثناؤه : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥)﴾

---

(١) انظر : إعراب القرآن الزجاج (٥/٤٢) ، والتبيان للعكبري (٢/١١٧٣) والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٢٨) وإعراب القرآن للدرويش (٩/٢٨١).

(٢) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٤٩) وعلى هو ابن أبي طلحه.

الإعراب

(بل) [1] حرف للاضراب عن الأول، (كذبوا) فعل والواو ضمير فاعلين (بالحق) خفض بالباء، (لما جاءهم) ظرف، جاءهم فعل ماضي، وضمير مفعولين والها والميم، (فهم) ابتداء (في أمر) خفض بفي في موضع خبر الابتداء (مريج) من نعت أمر.

المعنى الإجمالي

(والمعنى والله أعلم): ما أصاب هؤلاء المشركين القائلين[2]: أئذا متنا وكنا ترابًا ذلك رجع بعيد في قولهم هذا، بل كذبوا بالحق، وهو القرآن مع ما جاءهم من الله جل ثناؤه، وقال قتادة: بل كذبوا بالحق، أي كذبوا بالقرآن، فهم في أمر مريج، يقول: فهم في أمر مختلط عليهم متلبس لا يعرفون حقه من باطله، من قولهم: قد مرج أمر الناس، إذا اختلط عليهم وأهمل.

اختلاف المفسرين

وقد اختلفت[3] ألفاظ العلماء في (مريج) وإن كانت ترجع إلى معنى واحد؛ (فروي عن ابن عباس) أنه سئل عن (أمر مريج) فقال: المريج الشيء المنكر، وروى عنه علي بن أبي طلحة (فهم في أمر مريج) يقول: مختلف، وعن ابن عباس قول ثالث قال: فهم في أمر ضلالة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: في أمر مريج ملتبس، وقال ابن زيد: هو المختلط لا يثبت على شيء واحد؛ مرةً يقولون: ساحر، ومرةً يقولون: معلَّم.

---

(١) انظر : إعراب القرآن للزجاج (٥/٤٢) والتبيان للعكبري (٢/١١٧٣) والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٣٠) ، وإعراب القرآن للدرويش (٩/٢٨١).

(٢) هكذا هي في المخطوطة بالياء مع أن المحل للفاعل وصفته وهما مرفوعان بالواو لأنهما جمع مذكر سالم وصفته كأنه قال : لم يصب المشركون القائلون كذا وكذا .

(٣) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٤٩).

ثم دلَّهم على قدرته ووحدانيته فقال: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) قال قتادة ومجاهد والضحاك: من شقوق، والمعنى: أفلم ينظر هؤلاء المشركون الذين أنكروا البعث وجحدوا قدرتنا على إحيائهم بعد البلى، إلى قدرتنا على خلق السماء حتى جعلناها سقفا محفوظًا وزيناها بالكواكب، (وما لها من فروج) يكون جمعًا ويكون واحدًا أي مثل فتوق وشقوق.

وقوله جل ثناؤه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨)﴾

الإعراب

(والأرض)[1] منصوبة بإضمار فعل، أي: وبسطنا الأرض، والرفع جائز في العربية[2] إلا أن النصب أحسن؛ ليعطف الفعل على الفعل، (فيها رواسي) أي جبالًا رست في الأرض أي ثبتت.

أقوال المفسرين

قال قتادة[3]: الرواسي الجبال، (وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) من كل زوج حسن، قال: وقوله جل ثناؤه: (تبصرة) نعمة من الله جل ثناؤه يبصِّرها العبادَ، (وذكرى لكل عبد منيب) أي: مقبل بقلبه إلى الله جلَّ ثناؤه، وقال مجاهد: (تبصرة) بصيرة، (لكل عبد منيب) قال: محب، وعن قتادة: المنيب التائب، (وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن

(١) انظر: إعراب القرآن للزجاج (٥/٤٢)، والتبيان للعكبري (٢/١١٧٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٣١)، وإعراب القرآن للدرويش (٩/٢٨٢).

(٢) وذلك إذا جعلنا الواو استئنافية والأرض مبتدأ والجملة بعدها خبر، وقد قرئ في الشواذ بالضم. إعراب القراءات الشواذ للخطيب (٢ / ٥٠٦).

(٣) انظر: هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦/١٥١).

كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أي: نوع، قال ابن عباس: (بهيج) حسن، (تبصرة) مصدر ومفعوله، أي: جعلنا ذلك لتبصركم قدرة الله، (وذكرى) ولتذكروا عظمة الله جل ثناؤه وسلطانه، فتعلموا أنه قادر على أن يحيي الموتى فيفعل ما يريد، (لكل عبد منيب) أي: راجع إلى الإيمان وطاعة الله جل ثناؤه.

الوقف والابتداء

وقطع القارئ على (وما لها من فروج) قطع كاف[1] ليس بتام؛ لأن الأرض منصوبة بإضمار فعل معطوف على ما قبله، (وذكرى لكل عبد منيب) كاف إذا ابتدأت الخبر.

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (١١)﴾.

الإعراب

(ونزلنا)[2] فعل وضمير فاعل (من السماء) خفض بمن، (ماءً) مفعول نزَّلنا (مباركًا) نعت لماء، (فأنبتنا به) فعل وضمير فاعل، (به) الهاء عائدة على الماء في موضع خفض، (جناتٍ) مفعول أنبتنا، (وحب الحصيد) معطوف على جنات. وزعم الفراء[3] أن (حب الحصيد) إضافة الشيء إلى نفسه لأن الحب هو الحصيد عنده،

(١) انظر القطع والأستئناف للنحاس ص٤٩٣

(٢) انظر: إعراب القرآن للزجاج (٥/٤٣)، والتبيان للعكبري (٢/١١٧٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٣١)، وإعراب القرآن للدرويش (٩/٢٨٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/٧٦).

وقال أبو جعفر[١]: وسمعت علي بن سليمان يحكي عن البصريين[٢] منهم محمد بن يزيد أن إضافة الشيء إلى نفسه محال، ولكن التقدير: حب النبت الحصيد[٣].

(والنخل) عطف على حب، (باسقات) نعت للنخل، (لها طلع) رفع بالابتداء، والخبر في اللام وما عملت فيه، (نضيد) نعت لطلع، (رزقا) قال أبو إسحاق: (رزقا للعباد) مصدر، قال: ويجوز أن يكون مفعولًا من أجله[٤]، (وأحيينا) فعل ماضي وضمير فاعل، (به) الهاء عائدة على الماء أيضًا، (بلدةً) نصب بأحيينا، (ميتًا) من نعت بلدة، (كذلك الخروج) رفع مبتدأ وخبره.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم: ونزَّل من السماء ماءً مباركًا، فأنبت بالماء جنات وحبَّ الحصيد، (والنخيل باسقات) أي: وأنبتنا النخل طوالًا، وهي حال مقدرة، فباسقات نصب على الحال[٥]، ومعنى الآية والله أعلم: ونزَّلنا من السماء ماء مباركًا فأنبتنا به البساتين أشجارًا (وحب الحصيد) الزرع المحصود من البُرِّ والشعير وسائر أنواع الحبوب.

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٦/١٥٠).

(٢) انظر : التبيان في إعراب القرآن (٢/١١٧٤).

(٣) وهناك رأي آخر وهو أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى صفته لأن الأصل والحب الحصيد أي المحصود . انظر الدر المصون للسمين الحلبي (١٠/٢٠). وهذا أقرب لظاهر الآية ولأن الحذف خلاف الأصل.

(٤) وجعله مفعولا لأجله أقرب لأن الله قال بعد ذلك:" وأحيينا به بلدة ميتا"فيكون من باب عطف العلل على بعض فالعلة الأولى المفعول لأجله والعلة الثانية "وأحيينا"

(٥) ذكر المؤلف قبل خمسة أسطر أن باسقات نعت وذكر هنا أنه حال وهو أفضل لأن باسقات نكرة والنخل معرفة ولم تتم الطابقة إلا إذا تأولنا وترك التأويل أولى.

أقوال المفسرين

قال[١] قتادة: (وحب الحصيد) البر والشعير. وقال مجاهد: (حب الحصيد) الحنطة، (والنخل الباسقات) وأنبتنا بالماء الذي أنزلنا من السماء النخل طوالًا، والباسق هو الطويل، يقال للجبل الطويل: باسق، قال مجاهد وقتادة والضحاك: أي طوالًا، يقال للجبل الطويل: باسق، قال مجاهد وقتادة: أي منضود بعضه على بعض مراكب، قال ابن عباس: (لها طلع نضيد) بعضه على بعض، وهو قول قتادة، وقال مجاهد: نضيد المنضَّد (رزقًا للعباد)، أي: أنبتنا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء هذه الجنات والحب والنخيل؛ قوتًا للعباد، بعضها غذاء وبعضها فاكهة ومتاع. قال أبو بكر: وهو نضيد ما دام في غلافه، بمعنى منضود.

وقد روي عن مسروق[٢] أنه قال: نخل الجنة ثمره كلُّه نضيد من أوله إلى ما شاء الله متصل أمثال التلال، كلما قطعت منه بثمرة نَبَتَ مكانها أخرى، وزعم القتبي[٣] أنه يريد: ليس لها سوق بارزة ولكنه منضود بالورق أو بالثمر من أصله إلى أعلاه، وهو من قولك: نضدت المتاع إذا وضعت بعضه على بعض.

وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلنا من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت فلا زرع فيها ولا نبت(كذلك الخروج). قال أبو جعفر[٤] : أي الخروج من قبوركم، كذا يبعث الله جل ثناؤه ما نبت به الناس كما ينبت الزرع، قال أبو إسحاق: كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم، وقال محمد بن يزيد: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة فأحيينا به وأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياءً من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

---

(١) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦/١٥٢).

(٢) هذا مما زاده المؤلف من الأقوال على ما في تفسير الطبري.

(٣) يعني به ابن قتيبة صاحب مشكل القرآن

(٤) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٥٤).

الوقف والابتداء

وليس قطع القارئ على (وحب الحصيد) كافيًا[١٣]، والكلام متصل إلى (وأحيينا به بلدة ميتا) فإنه كاف، والتمام عند أبي حاتم (كذلك الخروج)، والكافي بعده عنده (وقوم تبع) وكذا (فحق وعيد) وكذا (بالخلق الأول) والتمام (بل هم في لبس من خلق جديد).

وقوله جل ثناؤه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾

الإعراب

(كذبت)[٢] فعل ماضي وحرف (قبلهم) ظرف (قوم نوح) رفع بفعلهم (وأصحاب الرس) عطف على قوم (وثمود) عطف أيضاً إلا أنه لا ينصرف لأنه اسم قبيلة، (وعادٌ) رفع معطوف على ما قبله وليس باسم قبيلة[٣] (وفرعون) عطف لا ينصرف لأنه عجمي معرفة (وإخوان لوط) عطف على ما سبق، وكذا (وأصحاب الأيكة) وكذا (وقوم تبع)، (كلٌّ كذَّب الرُّسُلَ) ابتداء وخبر، الرسل مفعول كذَّب (فحقَّ) فعل ماضي (وعيد) رفع بفعله وهو مضاف حذفت الياء استخفافًا.

---

(١) انظر القطع والأستئناف للنحاس ص ٤٩٣.

(٢) انظر في الإعراب: إعراب القرآن للزجاج (٤٣/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٢/٩)، وإعراب القرآن للدرويش (٢٨٥/٩).

(٣) والأجود أن يقال: لم يمنع من الصرف كما لم يمنع (نوح) لوجود حرف لين انظر شرح ابن عقيل لألفية بن مالك (٢٧٧/٢).

اختلاف القراء

واختُلف في إثباتها وحذفها[١] فوصلها بالياء ووقف بالياء سلام ويعقوب، ووصل بياء ووقف بغير ياء نافع في رواية ورش، والحسين في رواية إسماعيل عنه، وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وأبو عمرو إلا في رواية اليزيدي فإنه روى عنه الوصل بالكسر، واختار الوقف في غير رواية اليزيدي.

وقرأ ابن كثير والزهري وأهل الكوفة والبصرة والشام بحذف الياء في الوصل والوقف، وكذا (وخاف وعيد)، فمن حذف الياء قال: لأنه رأس الآية؛ لئلا تختلف الآيات، ومن أثبتها في الأدراج وحذفها في الوقف فحجته أن الوقف موضع حذف، الدليل على ذلك أنك تقول: لم يمض، فإذا وصلت كنيته بالضاد لا غير.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية – والله أعلم– كذبت قبلَ هؤلاء المشركين الذين كذبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم من قومه: قومُ نوح وأصحابُ الرسِّ وثمودُ وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط وأصحابُ الأيكة وهم قوم شعيب.

أقوال المفسرين

قال[٢] الضحاك: والرسُّ بئر، وقال كعب: هم أصحاب الأخدود، وهم الذين أرسل إليهم اثنان وعُزِّزا بثالث، والرسُّ الأخدود، وقال قتادة: الأيكة الشجر الملتف.

وأما تُبَّع فروى أبو مجلز عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن تُبَّع ما كان؟ فقال: إنَّ تبعًا كان رجلا من العرب، وإنه ظهر على الناس فاختار فتية من

---

(١) انظر: هذا الخلاف في النشر لابن الجزري (٣٧٦/٢)، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجويه (٢٨٦/٢) ومعجم القراءات للخطيب (١٠٢/٩).

(٢) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (١٥٥/٢٦).

الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم حتى أخذ منهم وبايعهم، وإن قومه استنكروا ذلك وقالوا: قد ترك دينكم وبايع الفتية، فلما فشا ذلك قال للفتية ، فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تحرق الكاذب وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم ثم غدوا إلى النار، فلما ذهبوا أن يدخلوا سفعت النار وجوههم[1] فقال لهم تبع: لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وإنه قال لقومه: ادخلوها، فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تبع: لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى إذا توسطوها أخاطت بهم فأحرقتهم، فأسلم تُبَّع وكان رجلاً صالحاً.

وروى ابن إسحاق عن أبي مالك ثعلبة بن أبي مالك القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعًا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكِمْنا إلى النار، قال: نعم.

قال: وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه؛ تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فلما قالوا ذلك لتبع قال: أنصفتم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، قال: وخرج الحبران بمصاحفهم في أعناقهم متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فرموهم من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تحرق جباههما لم تضرهما

(١) في جامع البيان للطبري زيادةً "فنكصوا عنها" (٢٦ / ١٥٥).

فأطبقت حمير عند ذلك على دينه، فمن هنالك وغير ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

وكان سهل بن سعد الساعدي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا تلعنوا تبعاً فإنه قد كان أسلم»[1]

.وروى ابن إسحاق عن بعض أصحابه أن الحبرين ومن خرج معهما من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا: من ردَّها فهو أولى بالحق، فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم ليردُّوها فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا، فلم يستطيعوا ردَّها، ودنا منهم الحبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص، حتى ردَّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأطبقت عند ذلك على دينهما.[2]

وقوله جل ثناؤه: (كلٌّ كذَّب الرُّسُلَ) التقدير عند سيبويه: كلهم، ثم حذفت لدلالة كل، وأجاز النحويون جميعًا: كلٌّ منطلق، بمعنى كلهم، قال أبو جعفر: وسمعت محمد بن الوليد يجيز حذف التنوين فيقول: كلٌّ منطلقٌ، جعله غاية مثل: قبلُ وبعدُ. قال علي بن سليمان: هذا كلام من لم يميز بين قبل وبعد أو نظير هذا من الألفاظ؛ لأن النحويين قد خصُّوا الظروف للعلة التي فيها بسبب[3] في غيرها.

قال أبو جعفر: وهذا كلام بين أهل العربية صحيح، والمعنى: كلُّ هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله الذين أرسلهم.

(١) رواه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد . رقم الحديث ٢٢٩٣١(٥/٣٤٠)ورواه الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس . رقم الحديث ١٤١٩(٢/١١٢).

(٢) في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٥٥) تتمة لرواية ابن إسحاق وهي : "وكان رئام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع إنما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم فخل بيننا وبينه ، فقال: فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود ، فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ،فبقاياه اليوم باليمن، كما ذكر لي".

(٣) هكذا في المخطوط ويبدو أن "ليس" سقطت من الجملة حتى تستقيم فتكون هكذا للعلة التي فيها بسبب ليس في غيرها.

(فحق وعيد)، أي فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله جل ثناؤه وجلاله في هذه الآية من إجلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيباً بذلك مشركي قريش وإعلاماً منه لهم إن لم ينتهوا من تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ليحل بهم مثل الذي أحل بهم. قال مجاهد (فحق وعيد) قال ما أهلكوا به تخويف لهؤلاء.

وقوله جل ثناؤه: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾

الإعراب

(أ)[1] هذه ألف التقرير (فعيينا)[2] فعل ماضي والنون والألف ضمير الفاعل (بالخلق) خفض بالباء (الأول) نعت للخلق (بل هم) ابتداء (في لبس) خفض بفي في موضع الخبر (من خلق) خفض بمن (جديد) نعت للخلق.

القراءات

وقرأت[3] الجماعة (أفعيينا) بكسر الياء الأولى وإسكان الثانية وروى هشام بإسناده عن ابن عامر بتشديد الياء، وعن نافع روايات لا تعد خلافاً، والحق ما عليه قراءة الجماعة.

---

(١) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٥/٤٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٣٢) ، وإعراب القرآن للدرويش (٩/٢٨٥) ، التبيان للعكبري (٥/٤٣).

(٢) لم يذكر المؤلف إعراب الفاء الواقعة بعد الاستفهام وهي عند أهل اللغة فاء التفريع أي أن هذا الكلام مفرع على الكلام الذي قبله. انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٦/٢٩٧)

(٣) انظر في القراءات : معجم القراءات للخطيب (٩/١٠٣).

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم أنها تقرير من الله جل ثناؤه مشركي قريش الذين قالوا أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد يقول لهم أفعيينا بابتداع الخلق الذي خلقناه ولم يكن شيئاً فنعيا بإعادتهم خلقاً جديداً بعد بلائهم في التراب وبعد فنائهم أي ليس يعيينا ذلك بل نحن عليه قادرون.

أقوال المفسرين

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[1] (أفعيينا بالخلق الأول) يقول لم يعيينا الخلق الأول. وقال مجاهد قوله (أفعيينا) يقول: أفعيي علينا حين انشأناكم خلقاً جديداً فيميزوا بالبعث بالخلق الأول ولكنهم في شك من قدرتنا على أن نخلقهم خلقاً جديداً بعد فنائهم وبلائهم في قبورهم.

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (بل هم في لبس من خلق جديد) يقول: أن يخلقوا من بعد الموت. وقال قتادة قوله جل ثناؤه (بل هم في لبس) أي في شك. والخلق الجديد : البعث بعد الموت فصار الناس فيه رجلين مصدق ومكذب.

وقوله جل ثناؤه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾.

الإعراب

(خلقنا)[2] فعل ماضي والنون والألف ضمير اسم الله (الإنسان) مفعول خلق (ونعلم) فعل مستقبل (ما) مفعول نعلم (توسوس) فعل مستقبل في صلة ما (به) الهاء

---

(١) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٦ / ١٥٦).

(٢) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٥/٤٤) ، والتبيان للعكبري (٢/١١٧٤) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٣٣) ، وإعراب القرآن للدرويش (٩/٢٨٧).

مخفوضه بالباء (نفسه) رفع بفعلها (ونحن) ابتداء (أقرب إليه من حبل الوريد) في موضع خبر الابتداء (إذا) ظرف (يتلقى) فعل مستقبل (المتلقيان) رفع فعلهما (عن اليمين) خفض بعض (وعن الشمال) عطف (قعيد) ابتداء وحرف الجر مع ما عمل في موضع الخبر.

ويقال: لم قيل: (قعيد) ولم يقل: قعيدان؟ ففي ذلك أجوبة فمذهب سيبويه والكسائي[١] أن المعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ثم حذف. ومذهب الأخفش والفراء[٢] أن قعيد واحد يؤدي عن

اثنين وأكثر منهما كما قال جل ثناؤه (ثم يخرجكم طفلاً) وقال محمد بن يزيد: إن التقدير في قعيد أن ينوي به التقديم أي عن اليمين قعيد ثم عطف عليه وعن الشمال[٣].

قال أبو جعفر[٤] وهذا قول حسن، قال: ومثله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقول رابع أن يكون قعيد بمعنى الجماعة كما تستعمل العرب في فعيل قال جل ثناؤه: (والملائكة بعد ذلك ظهير).

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ما) حرف نفي (يلفظ) فعل مستقبل والماضي منه لفظ بفتح الفاء (إلا) إيجاب بعد نفي (لديه) ظرف (رقيب) رفع بفعله (عتيد) من نعته.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية – والله أعلم– ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدث به نفسه ولا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي ونحن أقرب إلى الإنسان من حبل العاتق.

---

(١) الكتاب لسيبويه (١٣٦/٣) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢٢٤/٤).
(٢) معاني القرآن للفراء (٩٧/٣) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢٢٤/٤).
(٣) إعراب القرآن للنحاس (٢٢٤/٤).
(٤) إعراب القرآن للنحاس (٤ /٢٢٤).

وللنحويين فيه تقديران، قال الأخفش سعيد: ونحن أملك به وأقرب إليه بالمقدرة من حبل الوريد ، وقال غيره: ونحن أقرب إليه في العلم بما يوسوس به نفسه من حبل الوريد ، أي ونحن أقرب [١]. وفي هذا زجر عن إضمار المعصية.

أقوال المفسرين

واختلف العلماء في الوريد، فمنهم من قال الوريد عرق بين الحلقوم والعلباوين وهو قول الفراء [٢]. والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه.

روى علي بن أبي طلحة[٣] عن ابن عباس(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) يقول :عرق العنق. وقال مجاهد(حبل الوريد) قال: الذي يكون في الحلق .وقال أبو عبيدة: وريداه في حلقه وحبل الوريد حبل العاتق.

وقال الأقرع : هو نهر الجسد يمتد من الخنصر أو الإبهام فإذا كان في الفخذ أو الساق فهو النسا فإذا كان في البطن فهو الحالب وإذا كان في الصلب فهو الأبهر وإذا كان في اليد فهو الأكحل وإذا كان في العين فهو الناظر وإذا كان في القلب فهو الوتين قال جل ثناؤه (لقطعنا منه الوتين) فإذا كان في العنق فهو الوريد.

(إذ يتلقى المتلقيان) أي ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه حين يتلقى الملكان وهما المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، وقد ذكرنا قول النحويين فيه.(وقعيد) بمعنى قاعد مثل قدير وقادر[٤] ، وقيل قعيد بمعنى مقاعد مثل أكيل

---

(١) وهذا أظهر لأن استعمال القرب في العلم أكثر في القرآن كقوله " فإني قريب أجيب دعوة الداع"وقوله" إنه سميع قريب" وهو مستلزم للقول الأول.
(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٧٦/٣).
(٣) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٦ / ١٥٧).
(٤) هذا الظاهر لقوله قبلها "عن اليمين وعن الشمال" ، ولا يقال مقاعد عن اليمين وعن الشمال ولا يقال ثابت عن اليمين وعن الشمال.

وشريب، وقيل قعيد ثابت من قولهم هو أقعد به في النسب، ومنه القواعد من النساء.

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) الضمير الذي في يلفظ يعود على الإنسان أي ما يلفظ الإنسان من قول تكلم به إلا عند لفظه رقيب أي حافظ يحفظه عليه عتيد أي معتد، وهذا من متصرفات فعيل يكون بمعنى الجمع وبمعنى مفعل نحو أليم بمعنى مؤلم مفعول وبمعنى فاعل نحو قدير وقادر.

قال قتادة[١]: (المتلقيان) المتلقيان الملكان، قال مجاهد: الذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات، وقال عكرمة: ما يلفظ بكلام من خير أو شر إلا كتب عليه، وقال الحسن وقتادة: يكتب الملكان كل ما يلفظ به من جميع الأشياء، قال سفيان: بلغني أن كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا أذنب قال لا تعجل لعله يستغفر، وقال ابن زيد: جعل معه من يكتب كل ما يلفظ به وهو معه رقيب، وقال عمرو بن الحارث عن هشام الحمصي أنه بلغه أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال: اكتب، فيقول: لا ، بل اكتب فيقول لا بل أنت اكتب ويمتنعان فينادي منادي أي يا صاحب الشمال أكتب ما ترك صاحب اليمين.

قول من قال إنما يكتب الملكان ما يعمل من خير أو شر حسن ويكون من العام الذي يراد به الخاص وهو كثير. وقول الحسن وقتادة على الظاهر ويقويه أن في تفسير أبي صالح في قوله جل وعز نحو يمحو الله ما يشاء ويثبت أن الملائكة تكتب كل ما يتكلم به الإنسان يمحو الله منه ما ليس له وما ليس عليه ويثبت ماله وعليه[٢].

---

(١) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٥٩).

(٢) الهداية لأبي طالب (٧٠٤١/١١)والذي يظهر في هذه الآية أن الملائكة تراقب ما يلفظ به الناس فإذا قال بعض الناس إنما كتبته وإلا فلا ، لأن هذا هو الموافق للعدل ولأن المباح لا فائدة

الوقف والابتداء

وقطع القارئ[١] على قوله(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)[٢] بكاف لتعلقه بإذ وقال يعقوب (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين) فهذا الوقف إن كان التفسير عليه ولم يسمع فيه شيء ثم قال يعقوب (وعن الشمال قعيد) وخالفه أهل العربية في هذا والتفسير يدل على ما قالوا (إلا لديه رقيب عتيد) قطع حسن.

وقوله جل ثناؤه : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾

الإعراب

(وجاءت)[٣] فعل وحرف (سكرة الموت) رفع بفعلها (بالحق) خفض بالباء (ذلك ما كنت) ابتداء وخبر وكنت في ص والتاء اسم كان (منه) خفض بمن (تحيد) فعل مستقبل في موضع خبر كان (ونفخ) فعل ما لم يسم فاعله (في الصور) خفض بفي في موضع اسم ما لم يسم فاعله (ذلك يوم الوعيد) ابتداء وخبر (وجاءت) فعل أيضاً وحرف (كل نفس) رفع بفعلها نفس خفض بإضافة كل إليها (معها) خفض بمع (سائق) رفع بالابتداء ومعها الخبر (وشهيد) عطف على سائق.

وفي معنى قوله تعالى : (جاءت سكرة الموت بالحق) وجهان، أحدهما: "وجاءت سكرة الموت" وهي شدته وغلبته على فهم الإنسان كالسكرة من النوم أو الشراب

من كتابته وكل من نسب إلى الملائكة شيئا فعليه الدليل ، وقوله يمحو الله ما يشاء ليست ظاهرة الدلالة على المقصود .

(١) انظر القطع والأستئناف للنحاس ص٤٩٣.

(٢) في القطع والأستئناف للنحاس :" ليس بقطع كاف"ص ٤٩٣ وهو أصوب .

(٣) انظر في الإعراب (إعراب القرآن للزجاج (٤٥/٥) ، والتبيان للعكبري (١١٧٥/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٤/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٢٨٨/٩).

بالحق من أمر الآخرة فتبينه الإنسان حتى ثبته وعرفه ، والقول الآخر: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت، وقد ذكر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول: وجاءت سكرة الحق بالموت، وذلك لما كان في مرضه، فقالت عائشة عند أبي بكر في مرضه الذي مات فيه ما رواه واصل بن عطاء عن أبي وائل قال: لما كان أبو بكر رضي الله عنه يقضي قالت عائشة هذا كما قال الشاعر: إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر .. فقال أبو بكر رضي الله عنه لابنته: لا تقولي ذلك بل كما قال الله عز وجل (وجاءت سكرة الموت بالحق).

والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها كما قال (إن هذا لهو حق اليقين) وهو قول الفراء[1] أي وجاءت السكرة الحق ذلك ما كنت منه تحيد أي هذه السكرة التي جاءتك أيها الإنسان بالحق هو الذي كنت منه تهرب وعنه تزوغ[2].

وقد ذكرنا معنى (ونفخ في الصور) بما أغنى عن إعادته (ذلك يوم) أي ذلك اليوم الذي ينفخ فيه في الصور يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت كل نفس) أي وجاءت يوم النفخ في الصور كل نفس ربها (معها سائق وشهيد) يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير وشر.[3]

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣ /٧٧) ، وهذا هو الرأي الثالث في الآية ولكنه مبني على التأكيد وقد تقرر عند أهل التفسير أن حمل الآية على التأسيس أولى من حملها على التأكيد. انظر : الإيضاح لناسخ القرآن لمكي بن أبي طالب (٢١٩).

(٢) والذي يظهر أن المقصود وجاءت سكرة الموت وهي ما يصيب الإنسان من الاختلاط عند الموت وعند ذلك يعلم الحق الذي كان غافلا عنه وهو البعث ولذلك جاء بعد هذه الآية" لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك"

(٣) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٦ / ١٦١).

أقوال المفسرين

روى إسماعيل بن أبي خالد عن يحي بن نافع مولى الثقيف قال سمعت عثمان بن عفان يخطب فقرأ هذه الآي(سائق وشهيد) قال: سائق يسوقها إلى الله وشاهد يشهد عليها بما عملت، وعن ابن عباس قوله (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) قال السائق من الملائكة والشهيد شاهد عليه من نفسه، وقال مجاهد (سائق وشهيد) الملكان كاتب وشاهد.

وقال قتادة: سائق يسوقها إلى ربها وشاهد يشهد بعملها، وقال الحسن سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها، وكذا قال الربيع بن أنس، وقال الضحاك : السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل والملائكة أيضاً تشهد عليهم والأنبياء صلوات الله عليهم،وقال ابن زيد في قوله جل ثناؤه (سائق وشهيد) قال: ملك موكل به يحصى عليه عمله وملك يسوقه إلى محشره، وقال أبو هريرة :السائق ملك والشهيد عملها نفسه، قال أبو جعفر: وقيل السائق شيطانها يكون خلفها وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسوق أصحابه أي من خلفهم ويمشون بين يديه[1] والشهيد الملك[2].

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٦٢).

(٢) والحاصل أن أهل العلم اختلفوا في السائق والشهيد على خمسة.

القول الأول : أن السائق ملك يسوقها إلى محشرها وهذا قول أبي هريرة وابن عباس.

القول الثاني : أنه قرينها من الشياطين وهذا نقله أبو جعفر.

القول الثالث : أن الشهيد ملك يشهد عليها بعملها وهذا قول عثمان بن عفان ومجاهد.

القول الرابع : أن الشهيد من يشهد على الإنسان من جوارحه وهذا قول الضحاك.

القول الخامس : أن الشهيد عمل الإنسان نفسه وهذا قول أبي هريرة.

والذي يظهر من هذه الأقوال أن السائق ملك يسوق العبد إلى ربه عز وجل.

والشهيد وصف يشمل كل الشهداء من الملائكة والأعمال والجوارح وذلك لعدة أوجه:

واختلف أهل العلم في المعنى بهذه الآيات فقال بعضهم عنى بها نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم عنى بها أهل الشرك وقال بعضهم عنى بها كل واحد روى يعقوب بن عبد الرحمن قال سألت زيد بن اسلم عن قوله جل ثناؤه (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد إلى قوله معها سائق وشهيد) فقلت له: من يراد بهذا؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: رسول الله؟ فقال: ومنا ينكر، قال الله جل ثناؤه: (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالاً فهدى) قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها فقال لي: هل سألت أحداً؟ فقلت: نعم قد سألت زيد بن أسلم فقال ما قال لك فقلت: بلى تخبرني بما تقول، فقال: لا أخبرتك برأي الذي عليه رأي، أخبرني ما قال لك ؟ قلت: قال: يراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال :وما علم زيد .إنما يراد به الكافر، ثم قال اقرأ ما بعدها بذلك على ذلك. ثم سألت حسن بن عبد الله بن عبد الله بن عباس عنها فقال لي مثل ما قال صالح: هل سألت أحداً فأخبرني به ؟ فقلت: إني قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان. فقال: ما قالا لك ؟. قلت تخبرني بقولك؟ قال لا أخبرتك بقولي، فأخبرته بالذي قالا لي، قال: خالفهما جميعاً، يراد بهذا البر والفاجر قال الله جل ثناؤه ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ..... فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾ قال فانكشف الغطاء عن البر والفاجر فرأى كل ما يصير إليه.

الوجه الأول : أن سياق الآيات السابقة كان في الحديث عن الملائكة كقوله : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

الوجه الثاني : أن الملائكة هم الموكلون بحشر الناس يوم القيامة وسوقهم لقوله تعالى : (يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً) وقوله : (وجاء ربك والملك صفا صفا).

الوجه الثالث : أن هذا قول الصحابة ولم يعلم لهم مخالف.

الوجه الرابع : أن حمل الآية على عمومها أولى من حملها على نوع خاص منها.

وقال الضحاك (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) يعني المشركين.

وكان محمد بن جرير يقول[1] أولى الأقوال في ذلك عندنا قول من قال عنى بهذا البر والفاجر لأن الله جل ثناؤه اتبع هذه الآيات قوله جل ثناؤه : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) والإنسان في هذا الموضع بمعنى الناس كلهم غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن المعنى قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءتكم أيها الناس سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد.

وقوله جل ثناؤه : ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾ قال يقال لقد كنت في غفلة في الدنيا من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد).

قال يقال لها لقد كنت في غفلة في الدنيا من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد،(فكشفنا عنك غطاءك) أي: فجلينا لك وأظهرنا لعينيك حتى رأيته وعاينته فزالت الغفلة عنك.

واختلف أهل العلم[2] في المقول له ذلك فقال بعضهم : المقول له ذلك الكافر، وقال آخرون: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: هو جميع الخلق من الجن والإنس. فمن قال هو الكافر ابن عباس في رواية عنه (فكشفنا عنك غطاءك) وذلك الكافر وقال مجاهد وسفيان فكشفنا عنك غطاءك يوم القيامة وممن روى عنه أنه قال هو نبي صلى الله عليه وسلم ابن زيد في قوله (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا) قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت في غفلة من هذا الأمر يا محمد كنت مع القوم في جاهليتهم فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.

---

(١) جامع البيان للطبري (١٦٢/٢٦).

(٢) انظر : هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (١٦٣/٢٦).

وعلى هذا الذي تأوله ابن زيد يجب أن يكون الكلام خطاباً من الله جل ثناؤه لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الذي يعتد به فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية فنفذ خبره بالإيمان بالله حتى تقرر ذلك عنده فصار حد البصر به.

وممن قال هو لجميع الخلق حسن بن عبد الله بن عباس قال يريد به البر والفاجر[1].

---

(١) والحاصل مما سبق أن أهل العلم اختلفوا في المقصود من تاء الخطاب في قوله عز وجل : (لقد كنت في غفلة من هذا) على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه الكافر وهذا قول ابن عباس.

القول الثاني : أنه عام في البر والفاجر وهذا قول حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس واختاره ابن جرير الطبري.

القول الثالث : أنه النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا قول ابن زيد وحمل معنى الآية على حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كقوله : (ووجدك ضالا فهدى) وقوله : (وإن كنت من قبله لمن الضالين) والقول الأول أولى لوجوه :

الوجه الأول : أن سياق الآيات يدل عليه كقوله تعالى : الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في ذاب الشديد.

جه الثاني : أن عود الضمائر على شيء واحد أولى من حملها على متعدد وذلك أن الضمير ، قوله : (وقال قرينه هذا ما لدي عتيد) وقوله : (قال قرينه ربنا ما أطغيته) عائد على الكافر.

الوجه الثالث : أن مقصود السورة الخطاب عن إعراض المشركين وإنكارهم للبعث فأن يكون الحديث عنهم هنا من باب أحرى.

الوجه الرابع : أن الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجر له ذكر وادعاء عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع خروج عن السياق بلا دليل.

الوجه الخامس : أن الضمير في قوله : (لقد كنت في غفلة من هذا) يكشف المراد وهو الغفلة عن يوم القيامة وعدم الاستعداد له وهذا المعنى لا يصلح أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

(فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) قال انكشف الغطاء عن البر والفاجر فرأى كل ما يصير عليه وروى عن ابن عباس بغير الاسناد الأول (فكشفنا عنك غطاءك) قال الحياة بعد الموت وقال قتادة عاين الآخرة وقوله فبصرك اليوم حديد أي فأنت اليوم نافذ البصر عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة وهو من قولهم فلان بصير بهذا الأمر إذا كان ذا علم به وله بهذا الأمر بصر أي علم.

وقد روى عن الضحاك أنه قال معنى ذلك فبصرك اليوم حديد كلسان الميزان وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه فشبه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعرف به الزيادة والنقصان ويعدل به الحق في الوزن ويعرف بمبلغه الواجب لأهله عن ما زاد على ذلك أو نقص فيكون هذا على التمثيل بالعدل فكأنه علم من وافى القيامة بما اكتسب في الدنيا بشاهد عدل عليه كلسان الميزان.

قال أبو جعفر كشفنا لك ما كان مستوراً عنك فبصرك اليوم حديد قيل يراد به بصر القلب أي بصرك ثاقب نافذ كما يقال فلان بصير بالفقه قال وقيل بصرك إلى الميزان حديد في نفسه كما قال جل ثناؤه : (ينظرون من طرف خفى) قال الضحاك حديد شديد.

وقطع القاريء على قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) كاف ان ابتداء الخبر وكذا (يوم الوعيد) (معها سائق وشهيد) قطع تام على قول زيد بن اسلم الذي حكيناه عنه وهو أن قوله (لقد كنت في غفلة من هذا) مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم لقد كنت وقومك في الجاهلية في غفلة مما أوحى إليك وعلى قول غيره الوقف فبصرك اليوم حديد.

وقوله جل ثناؤه : (هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦)).

الإعراب

(وقال)[١] فعل ماضي والواو عاطفة (قرينه) فاعل (هذا) رفع بالابتداء (ما) خبر الابتداء (لدي) من صلة ما (عتيد) يجوز أن يكون خبراً ثانياً ويجوز أن يكون مرفوعاً على إضمار مبتدأ ويجوز أن يكون بدلاً من ما ويكون نعتاً لما، على أن يجعل ما نكرة ويجوز النصب في غير القرآن مثل (وهذا بعلى شيخاً). (ألقيا) فعل الأمر والألف ضمير الفاعلين (في جهنم) خفض بفي إلا أنها لا تنصرف (كل) نصب مفعول ألقيا (كفار) وخفض بإضافة كل إليه (عنيد) من نعت كفار وكذا (مناع للخير معتد مريب) خفض من نعت الكفار.

وفي موضع الذي تقديرات في موضعه من الإعراب يجوز أن ترفعه بالابتداء وقوله فألقياه الخبر، وعلى هذا التقدير يكون مريب قطعاً تاماً للقارئ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بإضمار مبتدأ، ويكون التقدير هو الذي، وإذا قدرت ذلك كان الوقف على مريب كافياً، ويجوز أن يكون الذي بدلاً مما قبله وهو كل كفار، فالوقف على هذا في العذاب الشديد، وإن نصبته بمعنى أعني كان الوقف أيضاً على مريب كافياً.

وقوله جل ثناؤه (جعل) في صلة الذي الهاء مفعول جعل آخر من نعت إله(ألقياه) فعل وضمير فاعل وضمير مفعول (في العذاب) خفض بفى (الشديد) من نعته.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية –والله أعلم– وقال قرين هذا الإنسان الذي جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد قال ابن زيد[٢] في قوله : (وقال قرينه هذا ما لدى عتيد) إلى آخر

---

(١) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٥/٥) ، والتبيان للعكبري (١١٧٥/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٦/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٢٨٩/٩).

(٢) انظر : هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٦٥).

الآية قال: هذا سائقه الذي وُكّل به، وقرأ: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) قال: قرينه المَلَك. وقال غيره: هذا ما كتبته عندي حاضر، وقال أبو جعفر: وقيل: قرينه شيطان، قال: هذا ما لدي ما يحضرني من العذاب معد لنا.

وقال محمد بن جرير: هذا إخبار عن قرين هذا الإنسان عند موافاته ربه: ربِّ (هذا ما لدي عتيد) يقول: هذا الذي هو عتيد عندي معدٌّ محفوظ، قال ابن زيد: والعتيد الذي قد أخذه وجاء به السائق والحافظ معه جميعاً.

اختلاف المفسرين

وقوله : (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) اختلف العلماء في قوله ألقيا فقال قوم هو مخاطبة القرين أي يقال للقرين ألقيا وهذا قول الكسائي والفراء[١] وزعم الفراء أن العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين فيقول يا رجل قوما وانشد :

خليليَّ مُرّا بي أم جندب لتقضي لبانات الفؤاد المعذب

وإنما خاطب واحداً واستدل على ذلك بقوله:

ألم تريانى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقال قوم قرين للجماعة وللاثنين مثل "والملائكة بعد ذلك ظهير".

وقال أبو جعفر[٢] حدثنا على بن سليمان عن محمد بن يزيد عن بكير بن محمد قال العرب تقول للواحد قوماً على شرط إذا أردت تكرير الفعل أي قم قم فجاؤا بالألف لتدل على هذا الفعل وكذا ألقيا وقال آخر تكون المخاطبة للاثنين وإن الله جل ثناؤه يأمر به الملكين وقيل هذا من قول الملك وقال عبد الرحمن يريد السائق والحافظ جميعاً.[٣]

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٧٨/٣) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢٢٧/٤).

(٢) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٦ / ١٦٦).

(٣) وهذا هو الظاهر لأن ما سوى ذلك لابد فيه من قرينة وليست هناك فصار الأصل الحمل على الظاهر وهما الملكان السائق والشهيد.

وقوله (عنيد) قال مجاهد وعكرمة العنيد المجانب للحق المعاند لله، وقال غيرهما كل كفار كل جاحد وحدانية الله جل وعز وعنيد هو المعاند عن الحق وسبيل الهدى (مناع للخير).

قال قتادة (مناع) للخير أي للزكاة المفروضة (معتد) في خلقه وتعطفه وسيرته. (مريب) شاك، وقيل يأتي الأمور القبيحة.

وقال غير قتادة في قوله (مناع للخير) كل حق واجب لله أو لآدمي في ماله، والخير هو المال في هذا الموضع وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله مناع للخير الخير ولم يخصص شيئاً دون شيء فذلك كل خير يمكن معه طالبه وقوله(معتد) أي معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش، وبيده بالسطوة والبطش ظلماً.[1]

(مريب) قال قتادة شاك (الذي جعل مع الله إلهاً آخر) أي الذي أشرك بالله فعبد معه معبوداً آخر من خلقه قال قتادة هو المشرك بعينه (فألقياه في العذاب الشديد) أي في عذاب جهنم الشديد وقال محمد بن يزيد (عنيد) بمعنى معاند مثل ضجيج وجليس (مناع للخير) أي لما يجب عليه من زكاة وغيرها والخير المال معتد على الناس بلسانه ويده.

وقوله جل ثناؤه : ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)﴾.

(قَالَ)[2] فعل ماضي (قرينه) رفع بفعله (ربنا) نداء مضاف (ما أطغيته) ما حرف نفي أطغيته فعل وضمير والهاء ضمير مفعول (ولكن) حرف عطف (كان في

(١) وهو قول الطبري في تفسيره (١٦٦/٢٦).

(٢) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٦/٥) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٧/٩) . وإعراب القرآن للدرويش (٢٩١/٩).

ضلال) خفض بفى (بعيد) من نعت ضلال وفي وما عملت فيه في موضع خبر كان واسمها مضمر فيها (قال) فعل ماضي (لا تختصموا) نهى (لدي) ظرف وشددت الياء لأن الأصل ياءان الياء من لدي بعد القلب ويا النفس (وقد) حرف توقع (قدمت) فعل ماضي وضمير فاعل (إليكم) الكاف والميم خفض بإلى (بالوعيد) خفض بالباء (ما يبدل) فعل ما لم يسم فاعله (القول) اسم ما لم يسم فاعله (لدي) شددت الياء كما تقدم من قولنا (وما أنا) اسم ما (بظلام) خفض بالباء (للعبيد) خفض باللام والباء وما عملت فيه واتصلت به في موضع خبر ما.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية – والله أعلم – قال قرين هذا الإنسان الكافر المناع للخير وهو شيطانه.

أقوال المفسرين

روي ذلك عن ابن عباس[1] قال: (قرينه) شيطانه، وقال مجاهد: الشيطان قُيِّض له، وهو قول قتادة والضحاك، وقال ابن زيد: قرينه من الجن، (ربنا ما أطغيته) تبرَّأ منه، ودلَّ على هذا القولُ الأولُ (ما أطغيته) إنما دعوته فأجابني، وليس بفعلي صار طاغياً ولا جعلته طاغياً، ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جوراً بعيداً، وإنما أخبر جلَّ ذكره بهذا القول عن قول قرين الكافر له يوم القيامة إعلاماً منه عباده تبرُّأً بعضهم من بعض يوم القيامة، (قال لا تختصموا لديَّ) قال الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم وقرنائهم من الشياطين: (لا تختصموا لدي) أي اليوم (وقد قدمت إليكم) في الدنيا قبل اختصامكم هذا (بالوعيد) لمن عصاني وخالف أمري ونهيي في كتبي وعلى ألسن رسلي.

(١) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٦ / ١٦٧).

قال أبو عمران (وقد قدمت إليكم بالوعيد) قال بالقرآن وروى على عن ابن عباس (لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد) قال إنهم اعتذروا بغير عذر فأبطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم، وقال ابن زيد (لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) قال يقول أمرتكم ونهيتكم قال هذا ابن آدم وقرينه من الجن.

قال أبو جعفر[1] (وقد قدمت إليكم بالوعيد) الذي لا خلف له ولا حيف فيه فلا تختصموا (ما يبدل القول لدي) هذا اخبار من الله جل ثناؤه عن قوله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة إذ تبرأ بعضهم من بعض (ما يبدل) أي ما يغير القول الذي قلت لكم في الدنيا وهو قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين). ولا قضائي الذي قضيته فيها قال مجاهد (ما يبدل القول لدي) قد قضيت ما أنا قاض وقال غيره (ما يبدل القول لدي) قد علمت كيف ضلوا ومن أضلهم وقيل الحسنة بعشر والسيئة بمثلها.

(وما أنا بظلام للعبيد) أي لا آخذ أحداً بجرم أحدٍ ولا أعاقب أحداً من خلقي بجرم غيره:

الوقف والابتداء

وقطع القارئ على قوله (ولكن كان في ضلال بعيد) قطع كافي وعن ابن حاتم (وما أنا بظلام للعبيد) تمام في هذا لأن (يوم نقول) منصوب بظلام أي وما أنا بظلام حين نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد.

وقوله جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣)﴾.

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٦٨).

الإعراب

(يوم) ظرف زمان والعامل فيه بظلام . واختلف القراء[1] في قراءة يقول في الياء والنون فقرأ نافع يوم يقول بالياء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر بالنون واختلف عن عاصم فروى عنه بالنون ، واختلف عن أبي بكر فروى الكسائي وأبو المعافا ويحيي الجعفي عن أبي بكر بالنون ، وروى يحيي والأعشى وابن أبي أمية وابن أبي حماد وابن عطارد بالياء. وقد بينا قول العرب في هذا أو ما أشبهه أنها ترجع إلى مرة من الأخبار عن نفسها إلى الأخبار عن غايب والمعنى واحد.

(هل امتلأت)[2] حرف استفهام ومعناها هنا التقرير امتلأت فعل وضمير فاعله (ونقول هل من مزيد) من توكيد (وأزلفت الجنة) اسم ما لم يسم فاعله (للمتقين) خفض باللام (غير بعيد) في موضع الحال (هذا ما توعدون) ابتداء وخبر (لكل) خفض باللام (أواب) خفض بإضافة كل إليه (حفيظ) نعت لأواب.

(من خشى الرحمن بالغيب) في موضع (من) من الإعراب تقديران : أحدهما: أنه يجوز أن يكون في موضع خفض على البدل من كل[3] ، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء وخشي في موضع جزم بالشرط إذا رد إلى الاستقبال والتقدير (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) فيقال لهم ادخلوها وجاء قوله ادخلوها على لفظ الجمع لأنه مردود على معنى من وما قبله على لفظهما.

---

(١) انظر هذه الأقوال في النشر لابن الجزري (٣٧٦/٢) ، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجويه (٢٨٥/٢) ، ومعجم القراءات للخطيب (١١١/٩).

(٢) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٦/٥) ، والتبيان للعكبري (١١٧٦/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٨/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٢٩٢/٩ – ٢٩٧).

(٣) وهذا الظاهر لأن الآية تبين صفات أصحاب الجنة وهو الأواب الحفيظ الذي يخشى الله بالغيب، وإذا قلنا أنه في موضع رفع بالابتداء سنحتاج إلى تقدير وعدم التقدير أولى .

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية – والله أعلم – وما أنا بظلام للعبيد في يوم نقول لجهنم هل امتلأت، وذلك يوم القيامة، وقال جل ثناؤه يوم القيامة لجهنم: هل امتلأت لما سبق من وعده إياها أنه مالؤها من الجنة والناس أجمعين.

اختلاف المفسرين

وأما قوله جل ثناؤه: (وتقول هل من مزيد) اختلف العلماء في معناه، فقال بعضهم: معناه: ما من مزيد، قالوا: وإنما يقول الله جل ثناؤه لها: هل امتلأت؟ بعد أن يضع قدمه فيها فيتزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط. من تضايقها، فإذا قال لها وقد صارت كذلك: هل امتلأت؟ قالت حينئذٍ: هل من مزيد؟ أي: ما من مزيد، لشدة امتلائها وتضايق بعضها إلى بعض.

ممن روي ذلك عنه ابن عباس، قال: إن الله الملكَ جلَّ ثناؤه قد سبقت كلمته لأملأنَّ جهنم من الجِنَّةِ والناس أجمعين، فلما بعث الناس وأحضروا وسيق أعداء الله إلى النار زمراً جعلوا يقتحمون في جهنم فوجًا فوجًا لا يلقى في جهنم شيء إلا ذهب فيها ولا يملأ شيء، فتقول: ألستَ قد أقسمتَ لتملأنِّي من الجِنَّة والناس أجمعين، فوضع قدمه عليها فقالت حين وضع قدمه عليها: قد امتلأت فليس فيَّ مزيد– ولم يكن يملأها شيء– حين وجدت مسَّ ما وضع عليها، فتضايقت حين جعل عليها ما جعل، وامتلأت فما فيها موضع إبرة.

وقال مجاهد: (وتقول هل من مزيد) قال: وعدها ليملأنها فقال: هل أوفيك؟ قالت: وهل من مسلك؟ والمعنى على هذا: هل من مسلك؟ أي قد امتلأت.قال أبو جعفر[1] ونظير هذا القول الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قيل له بمكة:

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٧٠).

ألا تنزل دارًا من دورك؟ فقال: وهل ترك لنا عقيلٌ من دار؟ ما ترك داراً حتى باعها وقت الهجرة.[1]

وقال آخرون: بل معنى ذلك: زِدني، إنما هو بمعنى الاستزادة ، وهذا قول أنس بن مالك، قال: يلقى في جهنم وتقول: هل من مزيد؟ ثلاثاً حتى يضع قدمه فيتزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط ثلاثاً، وهو قول ابن زيد أيضاً، والحجة لصاحب هذا القول الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ فيقول رب العالمين: بلى، فيجعل قدمه فيها فتقول: قط قط».[2]

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة: ما لي! إنما يدخلني فقراء الناس وسقطهم، فقالت النار: ما لي! يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقال الله عز وجل: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة ملؤها، فأما الجنة فإن الله جل ثناؤه ينشئ لها من خلقه من يشاء، وأما النار فيُلقَون فيها وتقول: هل من مزيد؟ هل من مزيد؟ حتى يضع فيها قدمه فهنالك تملأ وتزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط.[3]

قال أبو جعفر: وهو أن تقول هذا تغيظًا قال: وهذا سؤال من الله جل ثناؤه فيه معنى التوبيخ لمن دخلها، وجعل الله جل ثناؤه لها ما تَميَّزُ به، وقيل هذا كما قال :

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير رقم الحديث ٢٨٩٣ ورواه مسلم في صحيحه كتاب الحج رقم الحديث ١٣٥١ من حديث أسامة بن زيد.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير رقم الحديث ٤٥٦٧ ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة والنار ، رقم الحديث ٢٨٤٦.

(٣) والذي يظهر من القولين هو القول الثاني لدلالة الحديث الصحيح عليه وإن كان القول الأول جائزاً في اللغة لكن المعنى الثاني أقرب إلى اللغة وأليق بالحال.

(وأزلفت الجنة للمتقين) أي: وأدنيت الجنة وتزينت للذين اتَّقَوا ربَّهم فخافوا عقوبته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. قال قتادة: (أُزلفت الجنة) أدنيت غير بعيد.

قال أبو جعفر[1]: يجوز أن يكون المعنى قربت إلى القلوب بأن قيل: اجتنبوا المعاصي وادخلوها، (هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ) أي يقال لهم: هذا الذي توعدون أيها المتقون أن تدخلوها وتسكنوها. وقرأ ابن كثير وحده هذا ما يوعدون بالياء على الخبر وقوله (لكل أواب حفيظ) يعني لكل راجع من معصية الله جل ثناؤه إلى طاعته تائب من ذنوبه.

اختلاف المفسرين

وقد اختلف أهل العلم[2] في معنى ذلك فقال بعضهم: هو المسبح، وقال بعضهم: هو التائب، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: (لكل أواب) قال: لكل مسبح، وهو قول مجاهد.

وعن مجاهد أيضًا: هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء مستغفرًا منها، وكذا روي عن الشعبي، قال قتادة: (لكل أواب حفيظ) أي: كل مطيع لله كثير الصلاة، وقال ابن زيد في قوله (لكل أواب حفيظ) قال: الأوَّاب التوَّاب الذي يؤوب إلى طاعة الله جل ثناؤه ويرجع إليها.

اختلاف المفسرين

واختلف أهل العلم في قوله (حفيظ) فقال بعضهم حفيظ ذنوبه حتى تاب منها روى ذلك عن ابن عباس: الأواب الحفيظ، فقال حفيظ ذنوبه حتى رجع عنها وقال آخرون معناه أنه حفيظ على فرايض الله جل ثناؤه وما أئتمنه عليه روى ذلك سعيد عن قتادة (حفيظ) ما استودعه الله من حقه ونعمته (من خشى الرحمن بالغيب) يقول

(١) هو أبو جعفر النحاس وليس الطبري. أنظر إعراب القرآن للنحاس(٤ / ٢٣٠)

(٢) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٧٢).

من خاف الله جل ثناؤه في الدنيا من قبل أن يلقاه فأطاعه واتبع أمره ونهيه (وجاء بقلب منيب) يقول وجاء الله بقلب تايب من ذنوبه وجميع ما يكرهه الله جل ثناؤه إلى ما يرضيه قال قتادة(١): منيب إلى ربه جل ثناؤه مقبل إلى الله جل وعز وقوله (ادخلوها بسلام آمنين) قال سلموا من عذاب الله وسلم عليهم. وقال أبو جعفر(٢) سلموا من كل شر وسلمت عليهم الملائكة (ذلك يوم الخلود) أيهذا الذي وصفتُ لكم أيها الناس صفتُهُ مِن إدخالِي الجنة مَن أُدخلَه ، هو يوم دخول الناس الجنة[3] ، ماكثين فيها لا يزولون عنها، روى سعيد عن قتادة (ذلك يوم الخلود) قال: خلدوا والله لا يموتون وأقاموا فلا يظعنون ونعموا فلا يأسون.

الوقف والابتداء

وقطع القاريء في هذه الآية تقديرات[4] منها قوله (لكل أواب حفيظ) إن رفعت من قوله (من خشى الرحمن بالغيب) كان التقدير من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها يحمله على معنى من وحذف القول كثير في كلام العرب كان التمام على (لكل أواب حفيظ) وأن قدرته على معنى هو (من خشي الرحمن بالغيب) كان كافياً وأن جعلته بدلاً مما قبله فالتمام ادخلوها بسلام وكذا يوم الخلود وكذا لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد.

وقوله جل ثناؤه: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾.

(١) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٧٣).

(٢) ليس هذا القول موجوداً في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٧٣).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (٢٦ /١٧٣)

(٤) انظر القطع والأستئناف للنحاس ص ٤٩٤.

الإعراب

(ادخلوها) [١] أمر (بسلام) خفض بالباء (يوم الخلود) ابتداء وخبر (وما) في موضع رفع بالابتداء (يشاؤون) فعل مستقبل وضمير فاعلين في صلة ما (ولهم) اللام وما عملت فيه في موضع خبر الابتداء (ولدينا مزيد) رفع بالابتداء أيضاً ولدينا في موضع الخبر عطف جملة على جملة.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم وتلذ عيونهم (ولدينا مزيد) أي وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة مزيد يزيدهم إياه ويروي أن ذلك المزيد النظر إلى وجه الله جل ثناؤه.

وقال أبو جعفر[١][٢] يشاؤون الشيء فيعطونه ويزدادون عليه ما لم يخطر على قلوبهم، روى معاوية القيسي عن عثمان بن عمير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت يا جبريل ما هذا قال هذه الجمعة قلت فما هذه النكتة السوداء قال هي الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم تدعوه يوم المزيد قال إن ربك اتخذ في الجنة وادياً[٣] من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور ثم جاء النبيون

---

(١) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٧/٥) ، والتبيان للعكبري (١١٧٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٩/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٢٩٦/٩ – ٢٩٧).

(٢) هو أبو جعفر النحاس وليس أبو جعفر الطبري ، وليس هذا القول موجوداً في تفسير الطبري ، أنظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٠)

(٣) في الطبري (٢٦ / ١٧٥) زيادة : أفيح.

حتى يجلسون عليها[١] ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسون عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسون على الكثب فيتجلى لهم جل ثناؤه حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول أنا الذي صدقتكم[٢] وأتممت عليكم نعمتي فهذا محل كرامتي سلوني فيسألونه الرضى فيقول قد رضاي أحلكم داري وأنلتكم كرامتي سلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس من الجمعة ثم يصعد على كرسيه" وذكر بقية الحديث[٣].

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦)﴾.

الإعراب

(كم) [٤] في موضع نصب بأهلكنا (قبلهم) ظرف (من قرن) خفض بمن (هم أشد منهم) ابتداء وخبر (بطشا) نصب على البيان (فنقبوا) فعل ماض وقرأ يحيى بن معمر فنقّبوا على الأمر (في البلاد) خفض بفى (هل من محيص) خفض بمن.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية– والله أعلم– وكثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المشركين أي مشركي قريش الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم هم أشد منهم بطشا أي المهلكون أشد من قريش بطشاً، وهو منصوب على البيان (فنقبوا في البلاد) قال ابن عباس: أثروا ،وقال مجاهد: ضربوا، وقال ابن زيد: علموا.

---

(١) هذه الزيادة ليست في تفسير الطبري (٢٦ / ١٧٥).

(٢) في الطبري زيادة : عدتي (٢٦ / ١٧٥).

(٣) أي في رؤية الله رقم ٧٣ ، رواه عبد الله بن أحمد في السنة ، رقم الحديث ٤٦٠

(٤) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٨/٥) ، والتبيان للعكبري (١١٧٧/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤٠/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٢٩٧/٩).

وحقيقته في اللغة طوفوا وتوغلوا يقال نقب إذا طوف وصار وفتش، ومنه قول امري القيس :

لقد نقبت في الآفاق حتى *** رضيت من الغنيمة بالإياب.

ويقال طوفت لمعنى زايد، ومعنى الآية والله أعلم طوفوا البلدان ليجدوا محيصاً من الموت فلم يجدوا ،والقرن مأخوذ من الاقتران وهو مقدار أكثر ما يعيش أهل ذلك الزمان.

وقوله (هل من محيص) أي فهل كان لهم تقليبهم في البلاد من معدل عن الموت ومنجي من الهلاك ، وهو قول الفراء قال الفراء[1] فهل كان لهم من الموت من محيص وحذف كان للدلالة. ووجه قراءة ابن يعمر على التهديد أي طوفوا في البلاد فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم.

الوقف والابتداء

وقطع القاريء[2] على قراءة الجماعة(هل من محيص) وعلى قراءة ابن يعمر وان كانت شاذة الوقف (هم أشد منهم بطشاً) ثم يبتدي(فنقبوا).

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾.

الإعراب

(ذلك)[3] في موضع خفض بفي إلا أنه غير معرب لأنه مبهم وذا من ذلك إشارة واللام لام توكيد والكاف لمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم لا موضع لها من

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٣ /٧٧)

(٢) انظر القطع والأستئناف للنحاس ص٤٩٥

(٣) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٨/٥) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤١/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٢٩٧/٩).

الإعراب وفي وما عملت فيه في موضع خبر أن (لذكرى) في موضع اسم أن وهي نصب لا يتبين في

لفظها إعراب لأن آخرها ألف تأنيث واللام لام توكيد (لمن) خفض باللام (كان له قلب) اسم كان وله وكان واسمها وخبرها في صلة من (أو القى السمع) معطوف على صلة من السمع مفعول القى (وهو شهيد) ابتداء وخبر في موضع الحال.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم أن في اهلاكنا القرون التي اهلكناها من قبل قريش لذكري يتذكر بها (لمن كان له قلب) يعنى لمن كان له عقل من هذه الأمة فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم خوفاً من أن يحل بهم مثل الذي حل بهم من العذاب.

روى سعيد عن قتادة قوله (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أي من هذه الأمة يعني بذلك القلب الحي ، وقال ابن زيد لمن كان له قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي عذب الله جل ثناؤه بها من عدده من الأمم .

والقلب في هذا الموضع العقل وهو من قولهم مالفلان قلب وما قلبه معه أي ما عقله معه وأين يذهب قلبك أي عقلك وقيل للقلب ههنا العقل لأن العقل فيه كُنِّي عنه به وتقدم قلب بعقل[1].

أقوال المفسرين

(أو ألقى السمع وهو شهيد) أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكناها بسمعه فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم وعصوا رسله (وهو شهيد) أي متفهم لما يخبر عنهم شاهد له غير غافل عنه ولاساهٍ قال ابن

(١) ويشهد لذلك قوله تعالى : (فتكون لهم قلوب يعقلون بها)الحج:٤٦.

عباس[1] (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) يقول إن استمع الذكر وشهد أمره فإن ذلك تجربة لعقله وقال الضحاك (أو ألقى السمع وهو شهيد) قال العرب تقول ألقى فلان بسمعه أي استمع بإذنه وهو شاهد يقول غير غايب،وقال آخرون عني بالشهيد أهل الكتاب وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب الله من نعت محمد صلى الله عليه وسلم، وروى عنه معمر قال هو رجل من أهل الكتاب استمع إلى القرآن وهو شهيد على ما في يده من كتاب الله جل ثناؤه وأنه يجد النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا، وقال الحسن: هو منافق استمع ولم ينتفع، وقال أبو صالح (أو ألقى السمع وهو شهيد) قال المؤمن يسمع القرآن وهو شهيد على ذلك، وقال سفيان وهو شهيد أي ليس جسده حاضراً وقلبه غايباً. وقطع القارئ على قوله وهو شهيد تام.

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُغُوبٍ (٣٨)﴾.

الإعراب

لام[2] لقد توكيد وقد حرف توقع (خلقنا) فعل وضمير اسم الله (السماوات) في موضع نصب مفعول هي وعلامة النصب كسرة التاء (والأرض) عطف على السماوات وعلامة النصب فتحة الضاد (وما بينهما) ما في موضع نصب عطف على السماوات والأرض وبينهما ظرف في صلة ما (في ستة أيام) خفض بفى أيام خفض بإضافة ستة إليها (وما) حرف نفي (مسنا) فعل ماض والنون والألف في موضع

(١) انظر : هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٧٨).

(٢) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٤٩/٥) والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤١/٩)، وإعراب القرآن للدرويش (٢٩٩/٩).

نصب وشددت السين لأن الأصل مسنا فادغمت السين في السين (من لغوب) خفض بمن.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم ولقد خلقنا السماوات السبع والأرض وما بينهما من الخلايق في ستة أيام وما مسنا من إعياء، وفي الحديث إن اليهود جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد أخبرنا ما خلق الله جل ثناؤه من الخلق في هذه الأيام الستة فقال خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الماء والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء وخلق السماوات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال وفي الثانية الآفة وفي الثالثة آدم قالوا صدقت إذا تممت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون فغضب فأنزل الله جل ثناؤه (وما مسنا من لغوب).

أقوال المفسرين

(فاصبر على ما يقولون) قال قتادة[1]: أكذب الله جل ثناؤه هؤلاء النصارى وأهل القرى على الله جل ثناؤه ومن ذلك أنهم قالوا خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وذلك عندهم يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة.

وقال معمر عن قتادة في قوله (من لغوب): قالت اليهود إن الله جل ثناؤه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ففرغ من الخلق يوم الجمعة فاستراح يوم السبت فأكذبهم الله جل ثناؤه فقال (وما مسنا من لغوب).

وقال الضحاك: كان مقدار كل يوم ألف سنة مما يعدون، وأما اللغوب فقال مجاهد: نصب، وقال قتادة: إعياء، واللغوب التعب يقال لغب يلغب لغوباً إذا تعب.

(١) انظر : هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٧٩).

وروى عن عكرمة عن ابن عباس أن اليهود جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال خلق الله جل ثناؤه الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء بما فيهما من منافع وخلق الشجر والماء والمداين والعمارات والخراب يوم الأربعاء قال الله جل ثناؤه ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)﴾ قال لمن سأل وخلق السماء يوم الخميس وخلق النجوم والشمس والقمر والملائكة يوم الجمعة إلى ثلاث ساعات بقين منه وخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال حيث يموت من يموت وفي الثانية ألقى الآفات على كل شيء ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم عليه السلام وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا أصبت لو اتممت ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ثم أنزلت(ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب [1]

(وما مسنا من لغوب)قطع تام [2] وكذا وأدبار السجود.

الوقف والإبتداء

وقوله جل ثناؤه : ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره لهذه الآية (٢٦ / ١٨٠) ،ورواه الحاكم في المستدرك وقال الذهبي في التلخيص أبو سعيد البقال قال أبن معين لا يكتب حديث (٥٩٢/٢) وأصل الحديث في صحيح مسلم ، رقم ٢٧٨٩.

(٢) القطع والأستئناف للنحاس ص٤٩٥

الإعراب

(فاصبر) [1] فعل الأمر (على ما) ما خفض بعلى (يقولون) فعل مستقبل وضمير فاعلين وهو الواو في صلة ما (وسبح) معطوف على اصبر (بحمد ربك) خفض بالباء (قبل طلوع) خفض بقبل (الشمس) خفض بالإضافة وكذا (وقبل الغروب) (ومن الليل) خفض بمن (فسبحه) فعل أمر (وأدبار) ظرف (السجود) خفض بأدبار.

واختلف في قراءة (وأدبار) [2] فقرأ ابن كثير وحمزة ونافع في رواية ورش وقالون وإسماعيل بكسر الهمزة، واختلف عن المسيبي فروى محمد عنه الكسر وكذلك ما روى ابن واصل عن ابن سعدان وحماد والأنصارى، وروى محمد بن محمد قال أخبرنا ابن سعدان عن إسحاق عن نافع وأدبار السجود وأدبار النجوم ،وهذا منه خطأ.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر والكسائي بفتح الهمزة، واختلف عن أبي بكر فروى يحي الجعفي عنه وابن أبي أمية والأزرق وأبو نعيم وأبو المعافى عنه أنه فتحها.

فمن قرأ بفتح الهمزة جعله جمع دبر ومن كسرها جعله مصدر أدبر يدبر وأجمعوا جميعاً على الكسر في أدبار النجوم، فذكر أبو عبيد أن السجود لا إدبار له، وهذا مما أخذ عليه، لأن معنى وأدبار السجود ما بعده وما يعقبه بهذا السجود، والنجوم والإنسان واحد. وقد روى المفسرون الجلة تفسير وإدبار السجود وإدبار النجوم فلا نعلم أحداً منهم فرق بينهما.

---

(١) انظر : إعراب القرآن للزجاج (٤٩/٥) ، والبيان للعكبري (١١٧٧/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٤١/٩).

(٢) انظر في هذا : النشر لابن الجزري (٢٧٦/٢) ، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجويه، (٢٨٥/٢) ، ومعجم القراءات للخطيب (١١٧/٩).

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم أن الله جل ثناؤه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر على ما يقول هؤلاء اليهود وما يفترون على الله جل ثناؤه ويكذبون عليه فإن الله لهم بالمرصاد فيجوز أن يكون المعنى فاصبر على أذاهم ويجوز أن تكون الآية منسوخة[١] بقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) أي وصل بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل غروبها.

روى ذلك سعيد عن قتادة (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) صلاة الفجر (وقبل غروبها) العصر وهو قول ابن زيد وقوله (ومن الليل) فسبحه.

اختلاف المفسرين

اختلف أهل العلم[٢] في التسبيح الذي أمر به من الليل، فقال بعضهم عنى به صلاة العتمة وهو قول ابن زيد (ومن الليل فسبحه) العتمة، وقال آخرون هي صلاة الليل في أي وقت صلى وهذا قول مجاهد وقوله أقرب إلى الصواب[٣][٢]، وذلك أن الله جل ثناؤه قال(ومن الليل فسبحه) فلم يحدد وقتاً من الليل دون وقت، وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل،وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا وهو بأن يكون أمر الصلاة المغرب والعشا أشبه منه بأن يكون أمر الصلاة

---

(١) وهذا رأي النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ص ٢٣١. ولا حاجة إلى حمل الآية على النسخ مع ثبوت معناها على الإحكام وذلك أن الآية إذا دارت بين الإحكام والنسخ حملت على الإحكام لأنه الأصل وما سواه خلافه ولأن النسخ لا يثبت بالاحتمال ولأن الصبر على الأذى لايتعارض مع الأمر بالقتال ولأن الصبر خلق كريم والأخلاق لا تنسخ.

(٢) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٨٠) والمعاني المذكورة متقاربة والأمر في هذا واسع ولا مانع من حمل الآية على عمومها ، انظر : جامع البيان للطبري (٣٨٢/١٣).

(٣) هذا نص كلام الطبري في تفسيره(١٨٠/٢٦).

العتمة لأنهما يصليان ليلاً (وأدبار السجود) أي وسبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل العلم في معنى التسبيح الذي أمر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم هما الركعتان اللتان يصليان بعد المغرب قال الحارث سألت عليا رضي الله عنه عن (ادبار السجود) فقال: الركعتان بعد المغرب ،وهو قول عمر رضي الله عنه وعلى والحسن بن علي رضي الله عنهما وابن عباس وابن مسعود، ومن التابعين الحسن ومجاهد والشعبي وقتادة والضحاك.

وبعض المحدثين يرفع حديث على عن النبي صلى الله عليه وسلم[١]، وكذا روى عن ابن عباس قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب ادبار السجود [٣][٢]، وقال آخرون :عنى بقوله(وأدبار السجود)التسبيح في إدبار الصلوات المكتوبات دون الصلاة بعدها روى ذلك ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقال قال ابن عباس في (فسبحه وادبار السجود) قال هو التسبيح بعد الصلاة.

وقال آخرون هي النوافل في أدبار الصلوات وهو قول ابن زيد وكان محمد بن جرير[٣] يختار قول من قال هما الركعتان من بعد المغرب.

وقال أبو جعفر أحمد ابن محمد[٤]: أجمع المسلمون على أنه نافلة فيجوز أن يكون ندباً لا حتما، ويجوز أن يكون منسوخاً بما صح عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه مسدد كما في جامع المسانيد والمراسيل(٤٤٧/١٥)رقم الحديث ٦٥٢٧

(٢) رواه الحاكم في مستدركه وصححه رقم الحديث ١٢٣١

(٣) جامع البيان للطبري (٢٦ / ١٨٢)، والذي يظهر من هذه الأقوال أن التسبيح الوارد في الآية هو الذكرلأن الله قال "ومن الليل فسبحه وأدبار السجود"، لأنه الذي يكون في أدبار السجود أما الصلاة فلا تكون في أدبار السجود، وإن كان التسبيح يطلق في القرآن ويراد به الصلاة والذكر وحمله على الذكر هنا أولى.

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٢٣١.

وسلم أنه لا يجب على أحد إلا خمس صلوات، ولعل ذلك في الجماعة، وكان التأذين فيها والإقامة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين المهديين لا أحد منهم يوجب غيرها.

الإعراب

وقوله جل ثناؤه (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب (٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢))

(واستمع) [١] أمر (يوم) مفعول استمع والتقدير خبر يوم أو صيحة (يوم ينادي) فعل مستقبل واستمع أمر يوم مفعول وعلامة الرفع سكون الياء (من مكان) خفض بمن (قريب) من نعت مكان (يوم يسمعون) بدل من الأولى يسمعون فعل مستقبل (الصيحة) منصوب يسمعون (بالحق) خفض بالباء (ذلك يوم الخروج) ابتداء وخبر والخروج خفض بإضافة يوم اليه.

اختلاف القراءات

واختلفت القراءة [٢] في قراءة ينادي المنادى في اثبات الياء وحذفها فقال أبو بكر بن مجاهد في كتاب القراءات أخبرني قنبل عن القواس أنه يقف بالياء في المنادى بالياء يوم ينادي، وقال في كتاب الاختلاف: المنادي بالياء في الوصل، وقال في جامعه في موضع آخر: أبو عمرو يقف على ينادي بغير يا وابن كثير وقال ابن مخلد عن البزي ينادي بالياء في الوصل قال سألته يعني البزي عن الوقف فقال بالياء وقال عن البزى المنادي باليا وقال الحلواني عن القواس ينادي المنادي بالياء وقال الخزاعي

(١) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للزجاج (٥/٤٩) ، والبيان للعكبري (٢/١١٧٧) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٩/٥٤٠).

(٢) انظر في هذا : النشر لابن الجزري (٢/٣٧٦) ، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجويه (٢/٢٨٥) ، معجم القراءات للخطيب (٩/١١٧).

عن أصحابه يناد المناد على حذف اليا فأما أبو عمرو فإن أبا عبد الرحمن روى عن أبيه أنه يصلها بيا ويقف بغير يا وقال ابن سعدان البزي كان أبو عمرو ربما طرحها في الوصل.

وقرأها الكوفيون وابن عامر بحذف الياء في الوصل والوقف وكان نافع يصل المنادي بالياء ويقف على غير يا، وممن قرأ أيضاً باليـاء في الوصل والوقف في الموضعين سلام ويعقوب وكتب يناد بغير يا وكذا المناد في المصحف فأما مناد فإنه فعل مستقبل سبيله أن يكون بالياء إلا أن الكاتب أسقطها من الخط كما أسقطها [١] من اللفظ لالتقاء الساكنين فكتب الفعل على وصل الكلام.

ولا ينبغي لأحد أن يقف على يناد متعمداً ،لأنه إن حذف الياء اتبع السواد وكان لاحنا، وإن أثبت اليا اتبع سنن العربية وكان مخالفاً لخط المصحف، والمنادى قال سيبويه: يجب في مثل هذا اثبات اليا في الوصل والوقف، قال ويجوز حذفها في الوقف، ومجاز ذلك أنك تقول مناد ثم تأتي بالألف واللام فلا يغير الاسم عن حاله.

وأما معنى الآية والله أعلم : فإن الله جل ثناؤه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

أقوال المفسرين

[٢] (واستمع يوم ينادي المنادي) أي حين أو صيحة يوم ينادي المنادي من مكان قريب من صخرة بيت المقدس قال ابن عباس (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب) قال هي الصيحة.

قال كعب المنادي ملك ينادي من مكان قريب من صخرة بيت المقدس بصوت عال: يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة اجتمعي لفصل القضاء.

(١) لم يسقط من القرآن حرف ولم يزد عليه حرف وهو أمر مجمع عليه من العلماء والأئمة ويؤمن به جماهير المسلمين وتواتر وعلم من الدين الضرورة.

(٢) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (٢٦/١٨٣).

وروي سعيد عن قتادة (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب) قال : كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض، وحدثنا أن كعباً قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقال ابن زيد عن أبيه قال : ملك قائم على صخرة بيت المقدس واضع أصبعيه في أذنيه قال : قلت ماذا ينادي ؟ قال : يقول : يا أيها الناس هلموا إلى الحساب قال : فيقبلون كما قال الله جل ثناؤه(كأنهم جراد منتشر). وقيل(مكان قريب) أنه يستمع كل واحد فهو على هذا قريب من الناس كلهم.

قال أبو جعفر : ويجوز أن يكون المنادي يعني المنادين ، وقوله جل ثناؤه يوم يسمعون الصيحة بالحق أي يوم يسمع الخلائق صيحة لبعث من القبور ، قال أبو جعفر : بالحق باجتماع للحساب.

(ذلك يوم الخروج) أي يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

الوقف والإبتداء

واختلف في قطع القاري، فروى عن نافع (من مكان قريب) وغلط في هذا، لأن يوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي(بالحق) قطع صالح والتمام (ذلك يوم الخروج).

وقوله : (إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير(٤٣)) (إنا) [1] الأصل إننا (نحن) فاصلة أو ابتداء (نحيي) في موضع خبر إن (ونميت) عطف على نحيي (وإلينا) النون والألف خفض بإلي (المصير) رفع بالابتداء وإلينا في موضع خبر الابتداء (يوم تشقق الأرض) رفع بفعلها (عنهم) خفض بعن (سراعاً) منصوب على أن العامل فيه المصير أي وإلينا مصيرهم يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً : نصب على الحال ، وقيل هو

(١) انظر في الإعراب : إعراب القرآن للدرويش (٢٩٩/٩).

حال من الهاء والميم ، وقيل لا يجوز أن يكون حالاً من الهاء والميم لأنه عامل فيها ، ولكن التقدير فيخرجون سراعاً.

اختلاف القراء

واختلفت القراءة[1] في تشقق في تشديد الشين وتخفيضها وقد ذكرناه في سورة الفرقان (ذلك حشر) ابتداء وخبر (علينا) زيادة في الخبر (يسير) من نعت حشر.

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية والله أعلم : إنا نحن نحيي الموتى ونميت الأحياء وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة(يوم تشقق الأرض) أي يصعد عنهم(ذلك حشر علينا يسير) يقول جميعهم ذلك جمع في موقف الحساب علينا يسير سهل.

الوقف والإبتداء

وليس قطع القارئ على قوله وإلينا المصير تماماً لأن يوم تشقق داخل في الصلة (عنهم سراعاً) قطع صالح والتمام ذلك حشر علينا يسير.

وقوله جل ثناؤه : {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}.

الإعراب

(نحن أعلم)[2] ابتداء وخبر (بما) خفض بالباء (يقولون) فعل مستقبل في صلة ما (وما أنت عليهم) أنت رفع بما (بجبار) خفض بالباء في موضع نصب في المعنى بخبر ما (فذكر بالقرآن) خفض بالباء من نصب فذكر (يخاف) فعل مستقبل في موضع صلة من (وعيد) في موضع نصب وهو مضاف.

(١) انظر : النشر لابن الجزري (٣٣٤/٢) والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجويه (١٤٥/٢) ، ومعجم القراءات للخطيب (١١٩/٩).

(٢) انظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥٤٤/٩) ، وإعراب القرآن للدرويش (٣٠٠/٩).

المعنى الإجمالي

ومعنى الآية: نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله وتكذيبهم بآياته، وانكارهم قدرة الله جل ثناؤه على البعث بعد الموت (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط.

أقوال المفسرين

(١) وقال مجاهد (وما أنت عليهم بجبار) قال : لا تتجبر عليهم وقيل لست مجبرهم على الطاعة، وقال قتادة (وما أنت عليهم بجبار) قال : إن الله جل ثناؤه كره الجبرية ونهى عنها وقدم فيها وقال الفراء(٢) : وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية قال : وقد قيل إن معنى الآية قوله :(وما أنت عليهم بجبار) : لم تبعث لتجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكراً فذكر.

وقال: العرب لا تقول فعال من أفعلت ، لا يقولون هذا خراج ويريدون مخرج، ولا دخال ويريدون مدخل، إنما يقولون فعال من فعلت ويقولون خراج في حرف واحد،وقد قالت العرب دّراك من أدرك وهو شاذ ، قال : فإن قلت الجبار على هذا المعنى فهو وجه ، قال : وسمعت بعض العرب يقول : جبره على الأمر يريد أجبره ، فالجبار من هذه اللغة صحيح مراد به يقهرهم ويجبرهم . وقيل(بجبار) بفظ غليظ ، وقوله (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي: فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته إليك من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عقابي، روى عمرو الملاي عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فقرأ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد. وقال عمرو بن قيس قال : يا نبي الله لو ذكرتنا فذكر مثله.

---

(١) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (١٨٤/٢٦).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء(٨١/٣).

الوقف والابتداء

القطع الكافي للقاري عند أبي حاتم (١):" نحن أعلم بما يقولون"والتمام عنده:" وما أنت عليهم بجبار" وعند غيره آخر السورة ، فذكر ما في هذه السورة من ياءات الإضافة على ما جرت به عادة كتابنا ، وذلك ثلاث ياءات من ذلك قوله : ما لدي عتيد ، ولا تختصموا لدي ، وما يبدل القول لدي، وحذف من هذه السورة اكتفاء بالكسرة ، فحق وعيد.

اختلاف القراء

(٢) وقوله : (من يخاف وعيد) فقرأ بالياء في الوصل والوقف سلام ويعقوب ، ووصلهما بياء ووقف بغير ياء نافع في رواية ورش، والحسن في رواية إسماعيل عنه وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وأبو عمرو، وأجاز الياء واختار الوقف وفي رواية اليزيدي عنه الوصل بالكسر،وقرأ ابن كثير والزهري وأهل الكوفة والبصرة والشام بحذف الياء في الوصل والوقف، وقد ذكرت ينادي المنادي وأذكر قول أبي بكر بن مجاهد فيه ، قال : وكتبت بياء، وبغير ياء، وياء، وها لام الفعل. وهي في محل رفع وليس إلى وصلها بالياء سبيل لأن الياء تسقط في الوصل لسكونها وسكون اللام من المناد فكتبت على لفظ الوصل ، ولو كتبت على الوقف لكتبت بياء ، وأجمع العادون على أن عددها خمس وأربعون آية

---

(١) انظر القطع والأستئناف للنحاس ص ٤٩٥

(٢) انظر في القراءات : النشر لابن الجزري (٢ / ٣٧٦) ، والكشف عن وجوه القراءات لابن زنجويه (٢٨٦/٢) ، ومعجم القراءات للخطيب (١٢٠/٩).

الخاتمـــة

لقد انتهي المصنف من تفسير سورة (ق) ، وقد خلصنا إلى أن المؤلف له منهج واضح مطرد يقوم على الإستفادة من كتب المفسرين السابقين ، وزاد على ذلـك التنسيق بين الأقوال والترتيب بينها والمناقشة لها .

والمصنف من أوائل المؤلفين فى التفسير التحليلي حيث جمع بين أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وأسباب النزول مع الجمع بينها والترجيح وذكر مع ذلـك اختلاف النحاة والقراء وختم بأحكام الوقف.

فهـــرس أهـــم المراجـــع

- التفسير :

١.البحر المحيط لأبي حيان ،دارالفكر، بيروت، لبنان،١٩٩٢م.

٢.جامع البيان للطبري، مصطفى البابي الحلبي ،الطبعة الثالثة، القاهرة.

٣.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار إحياء التراث العـربي ، بـيروت ، ١٩٨٥م.

٤.الدر المنثور للسيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

٥.زاد المسير لابن الجوزي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م،بيروت.

٦.الهداية لمكي بن أبي طالب القيسي ،الطبعة الأولى،مـن إصـدارات كليـة دراسات جامعة الشارقة.

- اللغة :

١.إعراب القرآن للنحاس، تحقيق زهير غازي زاهد،مكتبة النهضـة العربيـة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥

٢.إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م

٣.التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية، دار الفكر.

٤.التبيان في إعراب القرآن للعكبري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

٥.القسم في اللغة وفي القرآن لمحمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى،١٩٩٩ م.

٦.لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي ، بـيروت ، لبنـان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م.

٧.معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق د.عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث ، القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٩٩٤ .

٨.معاني القرآن للفراء، دار السرور، تحقيق أحمد يوسف ومحمد علي النجار.

- القراءات :

١.معجم القراءات للدكتور عب اللطيف الخطيب، دار سعد الدين دمشق، سوريا.

٢.النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتاب العربي، القاهرة ، مصر

- الحديث:

١.شرح النووي لصحيح مسلم ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢.فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

٣.المستدرك على الصحيحين للحاكم،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٤.مسند أحمد بن حنبل،دار الفكر، الطبعة الأولى،١٩٩١م